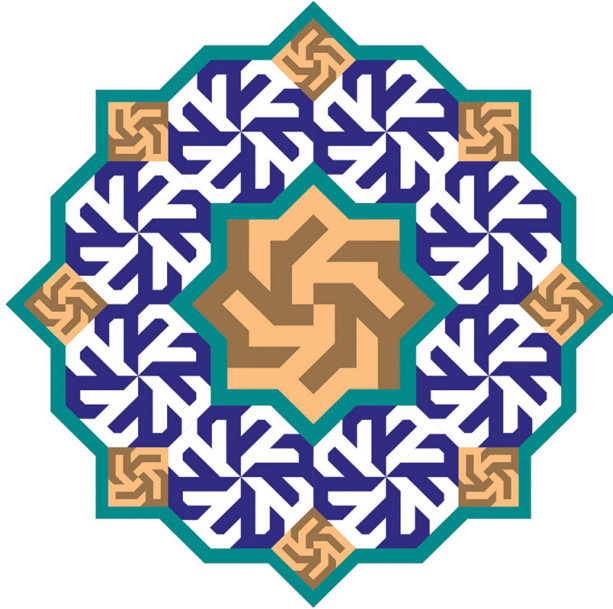


نمط الحياة في نهج البلاغة

المباني والقواعد



تأليف
هاشم الميلاني

نمط الحياة في نهج البلاغة

المباني والقواعد



سلسلة نمط الحياة

المعهد العربي للدراسات الاستراتيجية
المركز الاستراتيجي للدراسات الاستراتيجية

نمط الحياة في نهج البلاغة

المباني والقواعد

تأليف

هاشم الميلاني

العتبة العباسية المقدسة
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

الميلاني، هاشم، 1972- مؤلف.

نمط الحياة في نهج البلاغة : المباني والقواعد / تأليف هاشم الميلاني.- الطبعة الاولى.- النجف، العراق : العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، 1447 هـ. = 2026.

231 صفحة ؛ 21 سم. (سلسلة نمط الحياة)

يتضمن ارجاعات بيبليوجرافية : صفحة 231.

ISBN : 978992262307

1. الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، 406-359 هجري. نهج البلاغة. 2. علي بن ابي طالب

(عليه السلام)، الامام، 23 قبل الهجرة-40 هجري--حديث. 3. الحياة الدينية--اسلام. أ. العنوان.

LCC: BP193.1.A2 N3754 2026

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٤٢٧) لسنة ٢٠٢٦ م

نمط الحياة في نهج البلاغة، المباني والقواعد (سلسلة نمط الحياة)

تأليف: هاشم الميلاني

الناشر: العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

الطبعة: الأولى، ١٤٤٧ ق، ٢٠٢٦ م

www.iicss.iq

islamic.css@gmail.com

المحتويات

كلمة المركز..... ٩

تمهيد..... ١٧

القسم الأول: المباني

١. المبنى الأنطولوجي والعقدي..... ٢١

٢. المبنى الإيستمولوجي..... ٢٨

الواقعية..... ٢٨

مصادر المعرفة..... ٣١

أولاً: العقل..... ٣٢

ثانياً: النقل..... ٣٤

ثالثاً: الشهود الباطني..... ٣٨

رابعاً: القلب..... ٣٩

موانع المعرفة..... ٤١

أولاً: إغواء الشيطان..... ٤١

ثانياً: هوى النفس..... ٤٢

ثالثاً: حبّ الدنيا..... ٤٣

رابعاً: الشبهة..... ٤٥

خامساً: التضليل الإعلامي..... ٤٦

٣. المبنى الأنثروبولوجي..... ٤٦

١. رؤية طولية:..... ٤٦

٢. رؤية أفقية:..... ٤٧

القسم الثاني: القواعد

ألف. قواعد السلوك العامّة

١. قاعدة «التمسك بالثقلين» ٥٢
- أ. القرآن ٥٢
- ب. العترة الطاهرة ٥٥
٢. قاعدة «وضوح الطريق» ٥٦
٣. قاعدة «العبوديّة» ٥٧
٤. قاعدة «الحقّ والباطل» ٦٢
٥. قاعدة «الخير والشرّ» ٦٦
٦. قاعدة «التعامل مع الدنيا» ٦٧
- الدنيا قنطرة ٦٨
- التحذير من الدنيا ٦٩
- رفض الدنيا ٧٦
- سرعة انقضاء الدنيا ٧٧
- حبّ الدنيا ٨٣
١. نسيان الله تعالى، ٨٣
٢. نسيان الآخرة ٨٤
٣. الابتلاء والشقاء والهلاك ٨٤
٤. البعد عن التقوى والتورط في الآثام ٨٥
- ذمّ الدنيا ٨٥
- الاعتبار من الدنيا ٩٠
- مدح الدنيا ٩٥
٧. قاعدة «ذكر الموت» ٩٩
- شوق اللقاء ١٠٠
- ذكر الموت ١٠٣
- حتميّة الموت للإنسان ١٠٦
- سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت ١٠٨
- الاستعداد للموت ١١٤

المحتويات ❖ ٧

١١٦	الاحتضار وسكرة الموت
١٢٠	٨. قاعدة «محاسبة النفس»
١٢٤	٩. قاعدة «حفظ اللسان»
١٢٧	١٠. قاعدة «الصداقة»
١٣١	١١. قاعدة «الإحسان إلى الآخرين»
١٣٤	١٢. قاعدة «الرضا والسخط»
١٣٦	١٣. قاعدة «الفرح والحزن»
١٣٧	١٤. قاعدة «الميزان»
١٣٨	١٥. قاعدة «العفاف والكفاف»
١٤١	١٦. قاعدة «كما تدين تدان»
١٤٢	١٧. قاعدة «أخذ العبرة»
١٤٤	١٨. قاعدة «الابتلاء»
١٤٧	حكمة الابتلاء

ب. القواعد المنجية

١٥١	١. قاعدة «الإخلاص»
١٥٣	٢. قاعدة «الاستعانة بالله»
١٥٥	٣. قاعدة «الاستغفار»
١٥٦	٤. قاعدة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»
١٥٩	٥. قاعدة «الإنفاق»
١٦٠	٦. قاعدة «التقوى»
١٧٥	٧. قاعدة «التواضع»
١٧٦	٨. قاعدة «التوبة»
١٧٧	٩. قاعدة «التهجد»
١٧٩	١٠. قاعدة «الجلم»
١٨٠	١١. قاعدة «الرجاء»
١٨١	١٢. قاعدة «الزهد»
١٨٣	١٣. قاعدة «الدعاء»
١٨٦	١٤. قاعدة «الذكر»
١٨٨	١٥. قاعدة «الشكر»
١٩٠	١٦. قاعدة «الصبر»

١٧٠. قاعدة «صلة الرحم» ١٩٣
 ١٨٠. قاعدة «الورع» ١٩٤

ج. القواعد المهلكة

١. الإسراف ١٩٧
 ٢. الأكل الحرام ١٩٨
 ٣. طول الأمل ١٩٨
 ٤. البخل ٢٠٠
 ٥. البدعة ٢٠١
 ٦. التكبر ٢٠٢
 ٧. الجزع ٢٠٨
 ٨. الحسد ٢٠٨
 ٩. الرياء ٢٠٩
 ١٠. الذنوب ٢٠٩
 ١١. الشهوات ٢١٢
 ١٢. الطمع ٢١٣
 ١٣. الظلم ٢١٥
 ١٤. العجب ٢١٦
 ١٥. الغدر ٢١٧
 ١٦. الغضب ٢١٨
 ١٧. الغفلة ٢١٩
 ١٨. الغيبة ٢٢١
 ١٩. الكذب ٢٢٢
 ٢٠. اللجاجة ٢٢٢
 ٢١. متابعة الشيطان ٢٢٣
 ٢٢. النفاق ٢٢٦
 ٢٣. إتباع الهوى ٢٢٨
 المصادر ٢٣١

كلمة المركز

لم يُعد مفهوم الاستراتيجية في عالمنا المعاصر محصورًا في إطار الخرائط العسكرية، أو التخطيطات السياسيّة، أو الحسابات التجاريّة؛ بل إنّ كلّ ساحة حيويّة تتطلّب تدبيرًا للمستقبل، وإدارةً للتحديات، ورسمًا لآفاقٍ جديدة، باتت مضطرّة، لا محالة، إلى تبني نهجٍ استراتيجيٍّ رصين. وفي خضمّ ذلك، أضحّت مجالات الدين والثقافة والاجتماع - التي تتعرّض لتلاطم أمواج التيارات الفكرية المتنافسة والتحوّلات العالميّة المتسارعة - بحاجة ماسّة، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، للانتقال من موقع ردود الأفعال الانفعاليّة والجزئيّة، إلى صدارة المبادرات التأسيسية والمدروسة.

وانطلاقًا من إدراك هذه الضرورة الحيويّة، وسعيًا لصيانة الثغور العقائديّة، تأسّس «المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجية» التابع للعتبة العباسيّة المقدّسة في النجف الأشرف؛ ليكون بمثابة مرصدٍ ذكيّ يترصد التحوّلات الفكرية والثقافيّة بدقّة، ويعمل على صياغة الخرائط الاستراتيجية في حقل المعرفة الدينيّة. وتتجسّد الرسالة الكبرى لهذه المؤسسة في إعادة قراءة التراث الإسلاميّ العظيم برؤية معاصرة، والإجابة عن الشبهات الناجمة عن تحوّل النماذج المعرفيّة العالميّة من الإيمان بالغيب إلى الرؤية الماديّة، فضلًا عن تزويد نُخب العالم الإسلاميّ بسلاح المنطق والاستدلال؛ لمواجهة الغزو الناعم للمدارس والأفكار المنحرفة.

وقد أثمرت هذه الجهود، بفضل الله تعالى، عن تأليف ونشر ما يربو على (٣٠٠) عنوان من الكتب والمجالات التخصصية، التي غطت مساحة واسعة من الموضوعات الحيوية، أمثال: الكلام والعقائد، ونقد الاستشراق، والاستغراب ونقد الفكر الغربي، وتاريخ العلوم الإسلامية، ودراسات في المنهج، وفلسفة العلم ونظريّة المعرفة، ودراسات المرأة والأسرة، ونمط الحياة، وتاريخ الاستعمار، والفكر الإسلامي المعاصر. ويرمي المركز الإسلامي من خلال نشر هذه الآثار إلى وضع نصوص بين يدي النخبة الحوزوية والأكاديمية، تمتلك القدرة على مواجهة تحديات وتعقيدات الإنسان المعاصر، وتكون خطوة في طريق تبين المعارف الإلهية وتعميق المعتقدات الدينية في عالم اليوم.

وفي سياق هذه الأهداف السامية، وبُغية سدّ الفراغات الماثلة في الأدبيات الدينية المعاصرة، بادر المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية إلى إعداد ونشر مجموعة بحثية موسومة بـ «سلسلة نمط الحياة». وتمثّل هذه السلسلة محاولةً جادةً للمواجهة العلمية مع التساؤلات النابعة من التفاعلات والتحديات العميقة التي يواجهها الفكر الديني والمتدينون أمام مبادئ العالم الحديث ومقوماته، وذلك بالاستعانة بأراء كبار المفكرين والعودة إلى منابع الوحي الصافية. لقد تجاوز النطاق الموضوعي لهذه السلسلة حدود المباحث التجريدية المحضّة، ليمتدّ ويشمل الساحات العينية والسلوكية، مقدمًا نماذج فاعلة لنمط الحياة الفردية والاجتماعية التي تقلّل من آلام الإنسان المعاصر وأزماته.

إن مصطلح نمط الحياة لا يقتصر على المظاهر السطحية كاللباس والمأكل وطريقة قضاء وقت الفراغ، بل هو في جوهره التجلي العملي للرؤية الكونية والمنظومة القيمية للإنسان،

فالطريقة التي يعيش بها الفرد، وكيفية تفاعله مع أسرته، ومجتمعه، وبيئته، وحتى مع نفسه، هي انعكاس مباشر لما يؤمن به في أعماقه. وتتجلى ضرورة الاهتمام بنمط الحياة الإسلامي في تحقيق الحياة الطيبة، إذ أن الهدف الأسمى للرسالة الإسلامية هو بناء إنسان ومجتمع ينعم بالحياة الطيبة كما نص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)، وهذه الحياة هي النتيجة الطبيعية لنمط حياة منسجم مع الفطرة. كما تبرز الأهمية في الحفاظ على الهوية الثقافية في ظل التداخل الثقافي العالمي، حيث يمثل نمط الحياة الحصن الأول للدفاع عن الهوية، وتحلي المسلمين عن نمط حياتهم واستنساخ أنماط مستوردة يؤدي بالضرورة إلى الاستلاب الثقافي وذوبان الهوية الإسلامية، بالإضافة إلى أهمية ترجمة العقيدة إلى سلوك، فالإسلام دين عملي، والعقيدة التي لا تترجم إلى سلوك واقعي في شؤون الحياة المختلفة تظل عقيدة جامدة، ونمط الحياة هو الجسر الذي يعبر منه الإيثار من القلب إلى الجوارح.

ويواجه المسلم في العصر الحديث موجة عاتية من التحديات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تستهدف صميم نمط حياته، ومن أبرزها العولمة والهيمنة الثقافية التي تسعى بأدواتها الإعلامية والاقتصادية الجبارة إلى تنميط العالم وفق النموذج الاستهلاكي الغربي، مما يروج للفردانية المطلقة والتحرر من القيود الدينية، ويخلق صراعاً يومياً للمسلم الذي يحاول التمسك بقيمه. ويضاف إلى ذلك النزعة المادية والاستهلاكية التي حولت الإنسان المعاصر من كائن متعبد إلى كائن مستهلك، حيث أصبح المقياس الأساسي للقيمة الاجتماعية هو ما يملكه ويستهلكه الفرد، وهذا يتصادم مباشرة مع الرؤية الإسلامية التي

تضع التقوى والعمل الصالح ك معايير للتفاضل وتدعو إلى الفناعة والاعتدال. كما أفرزت تحديات الفضاء الرقمي وشبكات التواصل تغييراً جذرياً في نمط العلاقات الاجتماعية، فأصبح الاغتراب داخل الأسرة ظاهرة شائعة، وأنتجت هذه الشبكات مقارنات اجتماعية مدمرة و سطحية في التفكير تتناقض مع دعوة الإسلام للتعق والتفكر. ويترافق كل هذا مع محاولات تفكيك مفهوم الأسرة التقليدية وتقسيم الأدوار الفطرية فيها، مما يضر الأساس الأول لنمط الحياة الإسلامي الذي يعتبر الأسرة النواة الصلبة والمقدسة للمجتمع.

وفي مواجهة هذه التحديات، تقف منظومة المعارف التي تركها أهل البيت عليهم السلام كمنارة استراتيجية، فلم تكن سيرتهم مجرد مواظ نظرية، بل كانت تطبيقاً معصوماً للقرآن الكريم في مختلف الظروف، في السلم والحرب، والغنى والفقر، والسلطة والمعارضة. وتتميز سيرة وتعاليم أهل البيت عليهم السلام بخصائص تجعلها قادرة على صياغة نمط حياة معاصر متكامل، وفي مقدمتها التوازن الدقيق والوسطية، حيث ترفض تعاليمهم الرهبانية والانعزال عن الدنيا، كما ترفض الغرق في الماديات، انطلاقاً من القاعدة الذهبية التي تنص على أنه ليس منا من ترك ديناه لدينه ولا من ترك دينه لديناه. وتعتمد مدرستهم على العقلانية المرتكزة على الوحي، حيث يعلون من شأن العقل ويعتبرونه الرسول الباطن، مما يجعل نمط الحياة الإسلامي مرناً وقابلاً لمواكبة التطورات التكنولوجية والعلمية دون المساس بالثوابت. ولا يغفل هذا النمط البعد الجمالي والعاطفي، بل يشمل النظافة والتطيب وحسن المعاشرة وإدخال السرور على قلوب الآخرين، وهي أسس للراحة النفسية والصحة العقلية في عالمنا المليء بالضغط.

ويُعد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ووثيقته الخالدة نهج البلاغة دستورًا شاملاً لبناء الإنسان والمجتمع، حيث يمكن استخلاص مقومات نمط الحياة الإسلامي الأصيل من مدرسته عبر عدة مفاهيم متكاملة. فيجب علينا اتخاذ خطوات عملية لتحويل معارف أهل البيت ونهج البلاغة إلى نمط حياة معيش، وذلك من خلال الترجمة المعاصرة للنصوص وصياغة مفاهيمها بلغة تتناسب مع الشباب وتوجب على تساؤلاتهم المعاصرة حول قضايا القلق والنجاح والعلاقات، وصناعة القدوة والنماذج التطبيقية لشخصيات تعيش بيننا وتطبق النمط العلوي في التجارة والطب والسياسة والأسرة، فضلاً عن استثمار الإعلام الحديث والفنون لترويج مفاهيم التوازن والقناعة والعدالة لمواجهة الإعلام الاستهلاكي المادي بنفس أدواته.

وفي الختام، إن نمط الحياة الإسلامي ليس مشروعاً رجعيّاً يدعو للعودة إلى الماضي، بل هو منهجية حياة حية وديناميكية، وفي خضم التحديات العالمية المعاصرة تتألق مدرسة أهل البيت ويتوهج نهج البلاغة بسيرة الإمام علي عليه السلام ليس كمجرد تراث، بل كبوصلة نجاة وخارطة طريق عقلانية وروحية وعملية، وإن المعارف والتعاليم في السيرة العلوية، هي المفاتيح الحقيقية لإنقاذ الإنسان المعاصر من قلقه واغترابه والوصول به إلى شاطئ الحياة الطيبة التي وعد بها الله سبحانه وتعالى.

ويُعدّ الكتاب المائل بين أيديكم، والموسوم بـ «نمط الحياة في نهج البلاغة: المباني والقواعد»، من نتاجات «سلسلة نمط الحياة»، ليمثّل حجر الزاوية في مشروعنا المعرفي السلوكي؛ إذ لا يمكن الولوج إلى عمق الحياة الطيبة أو معالجة الأزمت الروحية والنفسية

للمجتمعات دون امتلاك رؤية دينية منهجية واضحة المعالم. إنَّ هذا الأثر العلمي، لا يتوقف عند حدود عرض المواعظ، بل يغوص في تحليل الإطار النظري والعملي الذي يسبق عملية تحديد السلوك، مؤسسًا بذلك لنمط حياة متكامل ومنسجم مع نظام الحلقة. لقد توخَّى المؤلف في هذا الكتاب رسم خارطة طريق تضبط حركة الإنسان المؤمن، وذلك عبر استنطاق مستويين متداخلين: المباني والقواعد، مستلهماً إياها من ينبوع حكمة أمير المؤمنين عليه السلام.

أما في صعيد «المباني»، فقد انطلق الكتاب من رؤية مفادها أنَّ كلَّ سلوك حياتي هو في الحقيقة ثمرة لاقتناعات ومباني نظرية مسبقة، لذا عمد المؤلف إلى تشريح هذه الركائز وتفكيكها؛ فبدأ بـ (المبنى الأنطولوجي والعقدي) الذي يبحث في أصل الوجود وهدف الحلقة، ثم انتقل إلى (المبنى الإستمولوجي ومصادر المعرفة) ليحدّد إمكانية المعرفة وحدودها، موضّحاً الموانع التي تعيقها كإغواء الشيطان، وهوى النفس، وحب الدنيا. ولم يغفل الكتاب (المبنى الأنثروبولوجي) برؤيته الطولية والأفقية، إذ إنَّ فهم حقيقة «الإنسان» وغايات وجوده يمثل ركيزة أساسية في تحديد كيفية سلوكه وتفاعله.

وفي الجانب الآخر، وهو «القواعد»، قدّم الكتاب جردة علمية دقيقة للأدوات والموجّهات السلوكية؛ فحلّل قواعد كلية كـ (التمسك بالثقلين)، و(التعامل مع الدنيا)، و(ذكر الموت)، و(محاسبة النفس). كما سلّط الضوء على ضوابط السلوك مقسماً إياها إلى (القواعد المنجية) التي ترتقي بالروح كالإخلاص والتقوى والزهد، و(القواعد المهلكة) التي تسقط الإنسان كالإسراف وطول الأمل واتباع الشهوات والظلم. إنَّ هذا الترتيب

الذي يعرضه الكتاب ليس مجرد سرد أخلاقي، بل هو تحليل وظيفي يبيّن للباحث كيفية بناء المنظومة السلوكية في كل تفاصيل الحياة.

إنّ الأهمية الاستراتيجية لهذا العمل تكمن في تصديده لظاهرة «التنمية البشرية الغربية» المادية التي غزت الثقافات المعاصرة؛ حيث نجد حلولاً قاصرة تنقطع عن المبدأ والمعاد وتهتم بالجانب المادي الصرف، مما أنتج أنماطاً زادت من جراح الإنسان وخواءه الروحي. ومن هنا، يأتي هذا الكتاب ليعيد الاعتبار لـ «النمط الإسلامي الأصيل»، موضحاً أنّ الانفكاك عن هذه المقدمات العلوية يجعل السالك عرضة للتخبط والضياع.

وختاماً، نتقدّم بجزيل الشكر والامتنان للمؤلف الفاضل سماحة الحجّة الدكتور السيّد هاشم الميلانيّ، على دقّة نظره وعمق طرحه وسعة تتبّعه في هذا المبحث المهمّ. كما نشكر مسؤول وحدة النشر الأستاذ السيّد محمّد رضا الطباطبائيّ، لما بذله من دقّة نظرٍ علميّة وفتيّة ومتابعاتٍ تنفيذيّة فعّالة. ونأمل أن يكون هذا الكتاب نافعا للباحثين والمهتمين بهذا المجال، ولطلبة الحوزات العلميّة والجامعات، وسائر النخب الفكرية والثقافية، وأن يساهم في الرقيّ الثقافي للمجتمع نحو الصلاح والتخلّق بالأدب الإلهي، بمنّه وكرمه، إنّه سميعٌ مجيب.

السيّد محسن الموسويّ

المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجية - فرع قم المقدّسة

تمهيد

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧). إن غاية الإنسان المؤمن في الدنيا الوصول إلى الحياة الطيبة في حياته المادية هذه، وكذلك حياته الآخروية، وهي غاية البعثة وإرسال الرسل أيضًا، لكن الوصول إلى الحياة الطيبة لم يكن بالتمني أو الادعاء، ولا يكون، بل هناك علامات ومعالم للحياة الطيبة إذا تحلّى بها الإنسان فيعني ذلك الوصول إليها وإلا فلا.

إن المراد من الحياة الطيبة في الآية الكريمة هي الحياة الطيبة في هذه الدنيا، فإذا تحلّى بها الإنسان في الدنيا فسوف يتحلّى بها لا محالة في الآخرة أيضًا؛ إذ الدنيا مزرعة الآخرة، وما زرعه هنا تحصد في الآخرة، ثم إن الآية الكريمة تربط الحياة الطيبة بثلاثة أشياء: ١. العمل ٢. أن يكون العمل صالحًا ٣. أن يتحلّى العامل بالإيمان.

فالعمل لا ينحصر في الأعمال العبادية بل يشمل مساحة النظر الفكري والعمل الفعلي، إذ النظر عملٌ فكري، والفعل عملٌ بالجوارح، والآية تشمل كلا الجانبين، فالتأمل في العلوم النظرية الحقّة وهداية الناس معرفيًا عملٌ صالح، كما أنّ العبادة

وسائر الأفعال التي تُؤدّي قربةً إلى الله عملٌ صالحٌ أيضًا، وعليه يمكن تعميم الحياة الطيبة إلى الحياة الطيبة عقديًا وثقافيًا وتربويًا واجتماعيًا وما شاكل؛ لذا لا بدّ أن يكون العمل عملاً صالحًا، ومضافاً إلى ذلك لا بدّ أن يتحلّى العامل بالإيمان أيضًا، إذ العمل الصالح من دون إيمانٍ لا يوصل إلى الحياة الطيبة، نعم ربما ينفع الآخرين غير أنّ العامل لا يتنفع به من وجهة نظرٍ قرآنيّة.

لا يمكن للإنسان أن يصل إلى الحياة الطيبة وهو لم يتبع منظومةً فكريّةً وعقديّةً صحيحة، كما لا يصل إلى الحياة الطيبة من دون منظومةٍ تربويّةٍ صحيحةٍ أيضًا، وهكذا الأمر في باقي الأمور، فالوصول إلى الحياة الطيبة يستدعي سلوكًا خاصًا وبموازين خاصّة، إذ لا تنسجم الحياة الطيبة مع أيّ سلوكٍ وفكرٍ وعملٍ واعتقادٍ مهما كان، فبعض المنظومات والتيارات تتناقض في بناها مع الحياة الطيبة، وتسوق الإنسان إلى الحياة الشقيّة، ونحن ننتقل من منطلقٍ دينيٍّ إلهيٍّ يجعل السعادة في متابعة الدين لا التمتع المادّي الصرف، كما هو الحال في سائر المدارس الحديثة التي غيرت وجهتها من الساء إلى الأرض، وأخلدت إليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

وقد عجّت أروقة المكتبات اليوم بمختلف الكتب والدراسات المتعلقة بالتنمية البشريّة وطريقة تحسين الحياة، والوصول إلى الحياة الطيبة، فاشتغلت ماكنة الترجمة في العالم الإسلامي لتنتقل لنا كمًّا هائلًا من بحوثٍ ودراساتٍ تنمويّةٍ غربيّة، ظلّنا منهم خدمة الثقافة والبشريّة من دون الالتفات إلى أسباب انتشار هذه الأوعية المعرفيّة في الغرب، وهل نحن بحاجةٍ إلى هذا الكمّ الهائل من الأوعية التنمويّة؟

إنَّ التنمية البشريَّة التي شاعت وذاعت في الغرب، جاءت جرَّاء أزمة رويَّة عاشها الغرب منذ عقودٍ بسبب الماديَّة المتفشِّية من جهة، والخواء الدينيِّ والروحيِّ الذي يشعر به الغربي في صميم ذاته من جهة ثانية؛ إذ لم تشبعه ولم ترد ظمأه كلُّ الحلول والممارسات والملاهي والملاذ التي قدَّمتها له ماكنة الغرب الترفيَّية من خلال البارات والأفلام والألعاب وغيرها؛ فأتَّجه البعض جرَّاء هذا الخواء الروحي إلى التنمية البشريَّة لتقديم أنماطٍ جديدة للحياة، تعين الإنسان على تحطِّي هذه الأزمات الفرديَّة والاجتماعيَّة بنجاحٍ من خلال تنمية القدرات الفرديَّة والذاتيَّة، وبالاعتماد على تعاليم السلوكيَّات والمعنويَّات المزيَّفة المنقطعة عن المبدأ؛ لذا أوقعت هذه الأنماط من التنمية البشريَّة الإنسانَ الغربيَّ في أزمةٍ أخرى، وزادته ألمًا وجرحًا على جراحه، من دون تقديم علاجٍ جذريٍّ حقيقيٍّ لها، وذلك أنَّها لم تغَيِّر المباني والمناهج، بل اعتمدت عليها ممَّا أدَّى إلى فشل هذا المشروع التنموي أيضًا في إنقاذ الإنسان الغربي من الوحل الذي أوقعته فيه الماديَّة والإمبرياليَّة الثقافيَّة.

إنَّ المعركة اليوم في ساحة السلوك الفردي والاجتماعي، إنَّما هي معركة نمط الحياة، وتقديم نموذجٍ فاعلٍ يقلِّل من آلام الإنسان المعاصر وأزماته النفسيَّة والاجتماعيَّة، ليصل جرَّاء ذلك إلى الطمأنينة في الدنيا والسعادة في الآخرة، وهو الحياة الطيِّبة التي دعا إليها القرآن، فالإسلام بوصفه منظومةً متكاملةً يقدِّم نمطًا للحياة ناظرًا إلى حقيقة الإنسان، ومنبعثًا من خالق الكون لإيصال الإنسان نحو هدف الخلق، وقد زخرت النصوص الدينيَّة بتقديم هذا النموذج.

يهدف هذا الكتيِّب إلى تقديم نمطٍ للحياة يعتمد على نهج البلاغة، وما روي عن

أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه وكتبه وقصار حكمه في تحديد سلوك الإنسان؛ إذ يمثّل كتاب نهج البلاغة منظومةً متكاملةً من مختلف المعارف التي يحتاج إليها الإنسان في حياته.

وقد قُسم هذا العمل إلى قسمين:

القسم الأول: يتطرّق إلى المباني الأساسيّة والنظريّة التي لا بدّ أن يعتمد عليها نمط الحياة ليكون متوافقاً مع نظام الخلق.

القسم الثاني: القواعد العامّة التي تُحدّد نمط الحياة وطريقة سلوك الإنسان في حياته الفرديّة والاجتماعيّة، وما يتفرّع منها من قواعد فرعيّة تكون بمنزلة خارطة طريق يسلكه الإنسان المسلم.

القسم الأول: المباني

المبنى هو القوام والأساس الذي يُبنى عليه، ومنه تتفرّع المسائل والمواضيع المختلفة، ولا بدّ من تنقيح هذه المباني قبل الخوض في المعترك المعرفي؛ إذ لولاه لوقع الإنسان في المغالطات والنتائج السقيمة التي تؤدي إلى انحراف مسيره النظريّ والعملّي. كما أنّ المباني تُعدّ الإطار النظريّ للعلوم والمعارف.

من هذا المنطلق ولتقديم نمط الحياة العلويّة، لا بدّ أن نبيّن أوّلاً المباني التي اعتمد عليها أمير المؤمنين عليه السلام وانطلق منها، ثمّ نعرّج على القواعد والمعالِم التي انتزعت من هذه المباني.

١. المبنى الأنطولوجي والعقدي

إنّ الوجود في المنظومة العلويّة لم يكن عبثاً؛ بل يبدأ على شكل تسلسلٍ هرميٍّ من الله تعالى الخالق، ويتّهي إلى الإنسان والكون المخلوق:

● «وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا» [خ: ١٩٥].^١

١. مصدر جميع العبارات المنقولة من كتاب «نهج البلاغة» في هذا الكتاب: «نهج البلاغة»، تحقيق: السيّد

هاشم الميلاني، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٣ م.

(استخدمنا الرموز الاختصارية التالية: خ: الخطبة، ق: الكلمات القصار، ك: الكتاب)

ولللخُلقة هدفٌ وغايةٌ تمّ بيانها عن طريق الوسائط بين الخالق والمخلوق، ولا بدّ من لحاظ هذا المبنى بوصفه أساساً يعتمد عليه في جميع الأمور النظرية والعملية، ومنه تتفرّع سائر المباني والقواعد والمعالِم، وهو البوصلة التي تحدّد المسير والمسار. فالمبنى الأنطولوجي والعقدي عند أمير المؤمنين عليه السلام يبدأ من معرفة الله تعالى ليكون:

● «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ» [خ: ١]

علمًا بأنّ المعرفة هذه إجمالية،

● «وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ» [خ: ٤٩]

تفيد الوقوف على أمهات الأمور وما يحتاجه الإنسان في التعامل مع خالقه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ: حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ،

لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظْرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارُ، وَأَحْصَيْتِ الْأَعْمَالَ،

وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ» [خ: ١٦٠].

وبهذا الصدد ينفي أمير المؤمنين عليه السلام المعرفة التفصيلية والوقوف على كنه الباري

تعالى، وقد بيّن عليه السلام هذه الحقيقة بعباراتٍ مختلفة، فتارةً يقول:

● «الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بَعْدُ الِهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ» [خ: ١].

وتارةً أخرى يقول:

● «لا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فُتَقَدَّرُهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فُتُصَوِّرُهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فُتَحْسِسُهُ، وَلَا تَلْمَسُهُ الْأَيْدِي فُتَمَسَّهُ» [خ: ١٨٦].

ويوضِّح استحالة ذلك ثالثاً بقوله:

● «هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ^١ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبْرَأُ مِنْ حَطَرَاتِ الْوَسْوَاسِ أَنْ يَفَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتْ^٢ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَعَمَّضَتْ^٣ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَالَ عِلْمَ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي^٤ سُدْفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ؛ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ^٥، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجُورِ الْاِعْتِسَافِ^٦ كُنْهَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا تَحْطُرُ بِبِئَالِ أَوْلِي الرُّوِيَّاتِ^٧ خَاطِرَةً مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ» [خ: ٩٠].

١. ارتمى: رمى، يقال: رميت الشيء أي ألقيته فارتمى.

٢. الولة: شدة الشوق إلى الشيء والولوع به.

٣. عمضت: أي دقت وخفيت.

٤. تجوب: تقطع، والمهاوي: المهالك.

٥. جُبهت: رُدَّت من جبهته أي صككت جبهته.

٦. الجور: الميل عن القصد، والاعتساف: الأخذ على غير الطريق.

٧. أولي الرويات: أصحاب التفكير في الأمور.

ومع هذا فإنَّ كلَّ شيءٍ يدلُّ عليه تعالى:

● «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ^١ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ^٢» [خ: ٤٩].

وهو المحيط بكلِّ شيءٍ:

● «قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ الصَّمَائِرَ، لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَلْبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» [خ: ٨٥].

ولذلك:

● «إِنَّهُ لِبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ» [خ: ١٩٦]؛

لذا أصبح:

● «الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ» [خ: ٩٠].

ولمَّا كان الله تعالى قوام الوجود، بل هو الوجود المطلق، وإنَّ ما سواه يرجع إليه

ويُنتمى إليه، فإنَّ الوجود سيكون مُحكِّمًا ومُتقنًا:

● «قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِرُجْهِتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ» [خ: ٩٠].

بعد أن عرفنا أنَّ نظام الكون ومحور الوجود عند أمير المؤمنين عليه السلام يتمحور حول

١. بطن الأمر: عرف باطنه.

٢. أعلام الظهور: الأدلة الظاهرة الواضحة.

الألوهية ووجود الخالق، وأنّ الباري لا يمكن الوصول إلى كنه معرفته، وأنّ الخلق لم تكن عبثاً، يأتي هنا دور الرسل والأنبياء لإيصال رسالة الله تعالى إلى الإنسان وهدايته نحو خالقه، ومن هنا يتبلور مفهوم النبوة في المبنى الوجودي والعقدي استكمالاً لغائية الخلق.

وهذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

● «وَأَصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَحَدَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنِ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنِ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ^٢، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُنِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمَهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشٍ تُحْيِيهِمْ، وَأَجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ؛ رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَدِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقِ سَمِّيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَوْ غَابِرِ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلِهِ. عَلَى ذَلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَنْبَاءُ» [خ: ١].

١. اجتالتهم: أدارتهم، أو عدلت بهم، أو اعترتهم.

٢. ليستأذوهم ميثاق فطرته: أي ليطلبوا منهم أداء ما ألزمهم من الميثاق والعهد.

٣. الأوصاب: الأمراض.

٤. الغابر: الباقي.

وأمر النبوة هذا وصل إلى رسول الله ﷺ :

● «إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ وَتَمَامِ نُبُوتِهِ» [خ: ١]

وكان ﷺ :

● «طَيِّبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ^١، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ^٢، يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبِ عُمِّيٍّ؛ وَآذَانَ صُمَّ، وَالسِّنَّةِ بَكُمْ؛ مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْعُقَلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيَرَةِ» [خ: ١٠٧].

وبعدما رحل ﷺ إلى الملاء الأعلى، خلف في الأمة الثقلين: الكتاب والعترة من أهل البيت عليه السلام لاستمرار الرسالة وتحقيق هدف الحلقة وصونها من العبثية:

● «وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَّمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ. كِتَابَ رَبِّكُمْ مُبَيَّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعَبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَخْدُودَهُ^٣، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّرًا جُمْلَهُ، وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَاخُودٍ مِيثَاقِ عِلْمِهِ، وَمَوْسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُنْتَبِتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضَهُ، [وَ] مَعْلُومٍ فِي السُّنَنِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَنِ أَخْذُهُ، مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ

١. المراهم: الأدوية المركبة للجراحات والقروح.

٢. المواسم: المكواة والحديد الذي يوسم به الخيل وغيرها.

٣. المرسل: المطلق، والمحدود: المقيد المظهر حدّه وغايته.

تَرَكَهُ، وَبَيَّنَ وَاجِبَ بَوَاقِيهِ، وَرَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرَّصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيَّنَ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ، وَمُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ» [خ: ١].

وقال عليه السلام:

● «فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ! بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ^٢ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيَّكُمْ! وَهُمْ أَرْمَةٌ الْحَقِّ [وَأَعْلَامُ الدِّينِ]، وَالسِّنَّةُ الصَّادِقِ!» [خ: ٨٦].

● «انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالزَّمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضَلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا» [خ: ٩٦].

● «إِنَّمَا الْأَيْمَةُ قُورَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ» [خ: ١٥٢].

المبنى الأنطولوجي والعقدي عند أمير المؤمنين عليه السلام يعتمد على ثلاثية: الله، النبي، الإمام. وهذه الثلاثية هي التي تحدد المسير الصحيح، ومنها يتم استنباط ما يخص سعادة الفرد والمجتمع بمساعدة العقل والفطرة، سبباً موضوع نمط الحياة.

١. المباينة بين المحارم: تقسيمها إلى كبيرة وصغيرة.

٢. تعمهون: تتحرون وتضلون.

٢. المبنى الإبستمولوجي

تعدّ نظريّة المعرفة والمباحث الإبستمولوجيّة من أهمّ المباني النظرية التي يلزم تنقيحها قبل الولوج في التنظير والتخطيط المعرفي، إذ النتائج سوف تختلف بعد تحديد الموقف تجاه نظرية المعرفة.

يقدم أمير المؤمنين عليه السلام ضمن خطبه ومراسلاته منظومة معرفية متكاملة، يمكن أن تتقوّل ضمن موضوعات نظرية المعرفة المعاصرة والمباحث الدائرة فيها من قبيل: القصدية، والواقعية، ومصادر المعرفة، وأدواتها، وموانعها، وغيرها. وفيما يأتي نشير إلى بعض هذه الموارد:

الواقعية

عندما يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

● «أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمَيِّهُونَ^١. الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ^٢ ذَاتَ الْبَيَانِ. عَزَبَ رَأْيِي أَمْرِي تَحَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَّكَتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أَرَيْتُهُ» [خ: ٤]،

● «أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ» [خ: ٢٨]،

● «وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي» [خ: ٢٢]،

١. لا تُمَيِّهُونَ: لا تصلون إلى الماء.

٢. العجماء: البهيمة، وسميت بذلك من حيث إنها لا تبين عن نفسها بالعبارة.

● «حَقُّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ، فَلَيْنَ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَقَدِيمًا فَعَلَ، وَلَيْنَ قَلَّ الْحَقُّ لَرُبَّمَا وَلَعَلَّ» [خ: ١٦]،

● «الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ» [خ: ٤].

ونحوها من الكلمات، فإنها تدلُّ على وجود معنى حقيقي (والواقع ونفس الأمر)، إذا اقترب منه الإنسان كان على الصواب، وإذا ابتعد كان على الباطل والخطأ، وهذا ما يدعم القصدية والواقعية، وينفي النسبية والشكوكية. وعندما يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف من يتصدى لأمور الأمة، وليس لها بأهل:

● «إِنَّ أْبَعْضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ فَهُوَ جَائِرٌ عَنِ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْعُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَتَنَ بِهِ... وَرَجُلٌ قَمَشَ^١ جَهْلًا، مُوَضِعٌ^٢ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ... فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ: لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ...» [خ: ١٧].

فهذا الكلام النوراني يرمز إلى محورية المعنى الصحيح وإمكان الوصول إليه، وأن ما خالفه بدعة وضلالة وشبهات، فهو ينفي تعدد القراءات والقول بصحة جميعها وصوابيتها، كما هو الدارج في الهرمنيوطيقا.

ونحوه قوله عليه السلام:

١. قَمَشَ: جمع.

٢. مَوْضِعٌ: مسرع، أو وضع البعير: أسرع.

● «مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً» [ق: ١٧٣]،

حيث يدلّ على نفي تعدّد القراءات، والقول بالمعنى المركزي للنصّ أو الموقف، وأنّ ما عداه باطلٌ وضلالٌ وغير مقبول.

وكذلك عندما خاطب أصحاب الشورى بقوله:

● «فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي» [خ: ١٣٩]،

فإنّه يرمز إلى قصد المتكلم عند التكلّم، وقصد إيصال المعنى إلى المتلقّي والمخاطب، ويدلّ أيضًا على إمكان الوصول إلى قصد المؤلّف وفهم مراده، شريطة الإصغاء الصحيح وترك الأهواء، وهذا ينفي تعدّد القراءات ونفي القصدية عند المتكلم، كما أنّه يريد من المتلقّي الإصغاء الصحيح إلى فهم مراده من الكلام.

وكذلك عندما يقول ﷺ:

● «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى» [خ: ٧٥]،

فإنّه يقصد إدراك المسموع وفهمه على الوجه الذي أراده المتكلم من كلامه هذا، فوعي المسموع وفهمه وإدراكه يعني الوصول الصحيح إلى مراد المتكلم، والعلم بأنّه قاصدٌ بهذا الكلام إيصال المعنى إلى المتلقّي.

ومن الأمور المهمّة المذكورة في المباحث المعرفية مبحث أفق المفسّر، حيث يُعدّ العمود الفقري للهرمنوطيقا الفلسفية الحديثة، وأمير المؤمنين ﷺ عند تعرّضه لمباحث التوحيد والتنديد بالمشرّكين الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوقات يقول:

● «كَذَّبَ الْعَادِلُونَ بِكَ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَأُوكَ تَجْرِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقِرَائِحِ عُقُولِهِمْ» [خ: ٩٠].

فهو عقلاني ينفي الاعتماد على أفق المفسر، ويصف النتيجة التي وصل إليها المشركون من خلال الاعتماد على أفقهم الذهني من التشبيه والتجسيم لله تعالى، يصفه بالكذب والخطأ، إذ كان يلزم عليهم نفي الأوهام والتعاليم التي تربوا عليها، ليصلوا إلى (الواقع ونفس الأمر) والرأي الصحيح، أما الاعتماد على البيئة الثقافية والخلفية الفكرية السائدة فغير صحيح، ويوقع الإنسان في التيه المعرفي والسلوكي.

مصادر المعرفة

كثر الكلام عن مصادر المعرفة، هل تقتصر على الحسّ والتجربة للوصول إلى معرفة صحيحةٍ ويقينية؟ أم لنا مصادرٌ معرفيةٌ أخرى غير الحسّ والتجربة؟
قد حصرت الوضعية المعرفة المنتجة والمعنى الصحيح بمصدرٍ وحيدٍ هو المادة، واعتمدت الحسّ والتجربة، وأنكرت سائر المصادر المعرفية الأخرى، الأمر الذي أدخل الوضعيين في خللٍ معرفيٍّ كبيرٍ، أو شكّ أن ينقلب السحر عليهم بنفي حتى الحسّ والتجربة، إذ القول بـ(أنّ المصدر الوحيد للمعرفة هو الحسّ والتجربة) لم يكن حسياً ولا تجريبياً، بل هو قاعدةٌ عقليةٌ غير مادية.

١. القرائح: جمع قريحة، وهي القوة التي يُستنبط بها المعقولات.

وقد عَجَّت كتب نظريّة المعرفة بسرد مصادر المعرفة والردّ على الوضعيّة، ولا يهمنّا هنا التطرّق إليها، بل نريد أن نستكشف موقف أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الشأن، ونقف على المصادر المعرفيّة التي اعتمد عليها لبيان التعاليم أو أشار إلى لزوم الاهتمام بها، وأرشد الناس بالرجوع إليها للوصول إلى معارف صحيحة، والتمسك بها ولا سيّما في رسم المعالم العامّة والخاصّة لنمط الحياة.

أولاً: العقل

يُعدّ الدليل العقلي من أهمّ المصادر المعرفيّة، إذ لولاه ربّما لم تنعقد أيّ معرفة، وقد وردت نصوص كثيرة في معنى العقل ودوره وأهمّيته، كما أشار أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً إلى دور العقل في خطبه وكتبه، وكانت معظم إشاراتِهِ إلى الدور السلبي للعقل إذا خرج عن الجادة، وتماهى مع الأهواء والشهوات.

قال عليه السلام عند ذكر إنزال الكتب والرسول، والإشارة إلى وظيفة الأنبياء والهدف

من بعثتهم:

● «وَيُثْبِرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ» [خ: ١].

إذ إنّ العقل ربّما يُصاب بالشلل جرّاء الانغماس في المادّيّات وبعده عن مراكز الهداية، فهنا يأتي دور الأنبياء ليثيروا العقل من الجديدي كي يسلك الطريق المستقيم، ويكون مصداقاً لقوله عليه السلام:

● «أَيُّنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضِيحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى» [خ: ١٤٤].

قد وردت في طيّات كلام أمير المؤمنين عليه السلام الإشارة إلى هذه النقطة المهمة كثيراً، وقلماً تطرّق إليها الآخرون، وهي أنّ العقل رغم كونه مصدرًا معرفيًا مهمًا، غير أنّه لم يكن مطلقًا، ولا يمكن الاعتماد عليه مائة بالمائة؛ لأنّه ربّما يصاب بالشلل والانطفاء حيث لم يتمكّن من إنارة الطريق، لكن هذا في عدا البديهيّات والضروريّات.

وبهذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الخارجين عليه من أصحاب الجمل:

● «خَفَّتْ عُقُولُكُمْ» [خ: ١٤٠].

وفي أهل النهروان:

● «وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَاءِ الْهَامِ» [خ: ٣٦]،

كما أشار إلى توقّف العقل عن أداء المهمة قائلاً:

● «نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ» [خ: ٢٢٣].

والسبب في عطلّ العقل عند أمير المؤمنين عليه السلام إنّما هو الأهواء واتباع الشيطان،

قال عليه السلام:

● «الْأَمَلُ يُسْهِي الْعَقْلَ» [خ: ٨٥]،

● «كَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَىِّ أَمِيرٍ» [ق: ٢٠١].

وكتب عليه السلام لشريح القاضي عندما رأى منه جنوحًا نحو الدنيا والمادّيّات، فكتب له

ينصحه ويعظه لئلاّ يغتر بالدنيا، وورد في آخره:

● «شَهِدَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَىٰ» [ك: ٣] ،

كما أنّ بإمكان الشيطان أن يسرق العقل ويحرفه عن مساره، ففي الخطبة القاصعة بعد ذمّ إبليس وما يقوم به من أعمال لانحراف الناس:

● «سْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ» [خ: ١٩٢].

ثانياً: النقل

يعدّ الدليل النقلي من أكثر الأدلّة استخداماً وأوسعها ولا سيّما في المباحث الدينيّة والأحكام الشرعيّة، وما يخصّ الغيب وعالم الآخرة، وينقسم إلى عدّة أقسام:

أ. الوحي

إنّ الوحي هو قناة التواصل بين الله تعالى والإنسان التي تمرّ عبرها التعاليم والأوامر والنواهي، وقد تجلّى الوحي للأنبياء ﷺ كافة على أنحاءٍ مختلفة، قال ﷺ:

● «وَاصْطَفَىٰ سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ» [خ: ١].

فقد تجلّى الوحي الإلهي عند خاتم الأنبياء ﷺ في القرآن الكريم:

● «كِتَابَ رَبِّكُمْ مُبَيَّنًّا حَلَالَةً وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبْرَهُ وَأَمْتَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ^١، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسَّرًا جُمْلَةً، وَمُبَيَّنًّا عَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَا خُوِذَ مِيثَاقُ عَلَيْهِ، وَمَوْسَعٍ

١. المرسل: المطلق، والمحدود: المقيد المظهر حدّه وغايته.

عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضُهُ، [وَ] مَعْلُومٍ فِي السَّنَةِ نَسَخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السَّنَةِ أَخْذُهُ، مُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدَدٍ عَلَيْهِ نِيرَانُهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ، وَمُؤَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ» [خ: ١].

وبالقرآن تمت الشريعة وبيّنت الأحكام:

● «وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تَبْيَانًا، وَعَمَرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَانًا؛ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ -فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ- [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ -عَلَى لِسَانِهِ- مَحَابَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِه، وَنَوَاهِيه وَأَوَامِرَهُ» [خ: ٨٥].

● «أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ».

وهذا يلزم المتقين والمؤمنين التمسك بهذا الكتاب، وعدم التخلي عنه؛ لأنه مصدر المعرفة الغني واليقيني:

● «قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقْلُهُ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ» [خ: ٨٦].

ليكون هو بصره ونطقه وسمعه:

● «كِتَابَ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ» [خ: ١٣٤].

ب. الحديث الشريف

الحديث الشريف الصادر عن النبي ﷺ، والأئمة المعصومين عليهم السلام هو المصدر النقل الثاني المعتمد في الحصول على المعارف، وبخصوص السنة النبوية فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام عند الاحتجاج على الخوارج:

- «قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩) فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكَمَ بِكِتَابِهِ، وَرُدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ» [خ: ١٢٥]

وفي لفظ آخر في عهده إلى الأشرار عليه السلام:

- «وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ» [ك: ٥٣].

وكان يوصي عليه السلام في الأخذ بالسنة ويقول:

- «أَمَّا وَصِيَّتِي: فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَمُحَمَّدًا فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ» [خ: ١٤٩ ونحوه ك ٢٣].

أما بعد رسول الله ﷺ فكلام الأئمة عليهم السلام من أهل البيت هو الحجة والمصدر

المعرفي السليم، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام بحقهم:

- «هُمُ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ نَفْيُ الْعَالِي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي، وَلَهُمْ حَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ» [خ: ٢].

- «فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ^١ وَيَبْنِيكُمْ عَتْرَةَ نَبِيِّكُمْ! وَهُمْ أَرْزَمَةُ الْحَقِّ [وَأَعْلَامُ

١. تعمهون: تحيرون وتضلون.

الدِّينِ]، وَالسَّنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ^١
الْعِطَاشِ» [خ: ٨٦].

كما قال عليه السلام أيضًا مذكرًا بمقام أهل البيت عليهم السلام السامي ولا سيما المعرفي:
● «نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوءَةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ،
وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ» [خ: ١٠٨].

علمًا بأنَّ الدليل النقلي المتعلق بالحديث الشريف والموجود اليوم في طيات الكتب، لا يمكن الاعتماد عليه هكذا ومن دون تمحيص، لوجود الدس والوضع مما أدى إلى لزوم التثبت من الحديث قبل الاعتماد عليه كمصدر معرفي؛ لأنَّ في أيدي الناس حقًا وباطلاً وصدقًا وكذبًا وحفظًا ووهماً، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام، وقسم نقلة الحديث من حيث تعمّد الكذب أو الخطأ في النقل أو الخطأ في التأويل [خ: ٢١٠].

ج. التاريخ

يعدّ التاريخ الدليل النقلي الثالث المعتمد في الوصول إلى المعارف، إذ المعلومات التاريخية الصحيحة تكوّن للإنسان معرفةً عن الماضي أولاً، والاستفادة من تجارب القدماء للواقع الحاضر ثانيًا، وأخذ العبرة من الحوادث الماضية ثالثًا. وقد استفاد أمير المؤمنين عليه السلام من هذا المصدر المعرفي النقلي أفضل استفادة، وكتب في كتابه إلى الإمام الحسن عليه السلام:

١. الهيم: الإبل العطاش.

● «أَيُّ بُنْيٍّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمْرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي أَثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا أَنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ، وَنَفَعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخَلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَتَهُ^١» [ك: ٣١].

ولم يكتفِ عليه السلام بمدارسة التاريخ لنفسه، بل أوصى الآخرين أيضاً بمراجعة التاريخ وأخذ العبرة منه، قال عليه السلام:

● «فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ نَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ^٢، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ^٣، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ^٤» [خ: ١٩٢].

ثالثاً: الشهود الباطني

يعدّ الشهود الباطني والكشوفات المعنويّة مصدرًا معرفيًا آخر قلّ تناوله عند عدّ مصادر المعرفة، ربّما لكونه شخصيًا وغير قابلٍ للتعميم، إذ لا يكون حجّةً إلّا على صاحب الكشف. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المصدر بنحوٍ عابرٍ حيث قال عليه السلام:

١ . النخيل: المختار المصقّى، وفي بعض النسخ المطبوعة: جليله.

٢ . المثالات: العقوبات.

٣ . مثاوي: جمع مثنوى وهو المنزل، ومنازل الحدود: مواضعها من الأرض بعد الموت.

٤ . مصارع جنوبهم: مطارحها على التراب.

- «وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ -عَزَّتْ أَلُوهُ- فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ^١ ، وَفِي أَرْزَمَانِ الْفَتْرَاتِ ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عَقُولِهِمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بُنُورَ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ» [خ: ٢٢١].

رابعاً: القلب

- يُعَدُّ القلب من المصادر المعرفية الأخرى التي وردت الإشارة إليه في طيات كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنه عندما يذكر خلقه الإنسان يشير إلى القلب ووظيفته ويقول عليه السلام :
- «ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا» [خ: ٨٢]؛

مما يدل على أن المعرفة والفهم والوعي والإدراك من وظائف القلب إلى جنب العقل، فربما أمكن القول بأن وظيفة القلب الوعي وتشخيص الطريق الصحيح، ووظيفة العقل الاستدلال عليه وإثباته. وبهذا الصدد يقول عليه السلام :

- «وَأَحْضِرُوا أَدَانًا قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا» [خ: ١٨٧].

ويقول عليه السلام في الحث على التقوى والزهد في الدنيا:

- «فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ» [خ: ٨٢].

فأسند عليه السلام التفكر إلى القلب دون العقل.

فوظيفة القلب الفهم والإدراك والوعي، لكن بشرط أن يسلك الطريق الصحيح ليصل إلى الفهم والوعي الصحيح، وليكون الاستدلال العقلي صحيحاً أيضاً، كما هو حال المتقي الذي:

١. البرهه: قطعة من الزمان.

● «اسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مَصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ» [خ: ٨٦].

وتحتاج استقامة القلب إلى الدعاء والتوفيق الإلهي، كما دعا ﷺ وقال:

● «أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ» [خ: ٢٠٥].

وهذا يعني أن القلب يمكن أن يزل وينحرف ليعطي موقفاً خاطئاً، فيستدل العقل

أيضاً استدلالاً خاطئاً، ليكون مصداقاً لقوله ﷺ:

● «فَكَانَ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةً^١، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ» [خ: ٣٤]،

فهم لا يعتبرون بالآيات التي يشاهدونها طيلة أيامهم إذ:

● «وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ

الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ» [خ: ١٨٥].

فأشار إلى ضلالتهم بسبب عدم تفكير قلوبهم في عظمة الله تعالى. أما الدواء

لهذا العناء هو الرجوع إلى الدين، واتباع تعاليم الأنبياء ﷺ حيث جاؤوا لإحياء

القلوب، قال ﷺ في وصف النبي ﷺ:

● «طَيِّبٌ دَوَارًا بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ^٢، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ^٣، يَضَعُ مِنْ ذَلِكَ

حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمِّيٍّ؛ وَأَذَانٍ صُمٍّ، وَالسِّنَّةِ بِكُمْ» [خ: ١٠٧].

١. مألوسة: من الألس - بسكون اللام - وهو الجنون واختلاط العقل.

٢. المراهم: الأدوية المركبة للجراحات والقروح.

٣. المواسم: المكواة والحديد الذي يوسم به الخيل وغيرها.

موانع المعرفة

بعد أن عرفنا من المنظومة العلوية لزوم القصدية في الكلام، وأن المتكلم أو المؤلف يقصد من كلامه إيصال معنى إلى المتلقي، يشير أمير المؤمنين عليه السلام في مجموع خطبه وكتبه إلى عدة عوامل تسبب سوء الفهم أو الإنكار، فهي عوامل تعيق الوصول إلى المعنى الصحيح الذي أراده المتكلم مما يؤثر في عملية الفهم والمعرفة، وهذه العوامل هي:

أولاً: إغواء الشيطان

يشير أمير المؤمنين عليه السلام في نصّ جميلٍ إلى خطورة إغواء الشيطان وطريقة عمله الماكرة لتغيير المنظومة الفكرية وانحرافها عن مسيرها الصحيح، فيقول عليه السلام:

● «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي^١ لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً» [خ: ١٢٠].

ويقول عليه السلام في مكانٍ آخر في من اتبع أوامر الشيطان وتغيرت منظومته الفكرية:

● «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً^٢، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي

صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَكَرَبَ

بِهِمُ الزَّلَّالَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ^٣، فَعَلَّ مَنْ قَدْ شَرِكُهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ

بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!» [خ: ٧].

١. يسني: يسهل.

٢. ملاك الأمر: ما به قوامه.

٣. الخطل: القول الفاسد.

وفي نصٍّ آخر قريب منه:

● «وَحَدَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ حَقِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا^١، فَأَضَلَّ وَأَزْدَى،
وَوَعَدَ فَمَنِّي^٢، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَطَائِمِ» [خ: ٢].

فالشيطان من خلال إغوائه يقوم بتغيير منظومة الإنسان الفكرية، ويغيّر وجهته ومنطقه من السماء إلى الأرض، ويلقي المعارف الخاطئة إلى أتباعه، ويكوّن لهم منظومةً فكريةً أخرى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٢١).

ثانياً: هوى النفس

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام في وصيته المعروفة:

● «الهُوَى شَرِيكُ الْعَمَى» [ك: ٣١]،

فصاحب الهوى أعمى عن رؤية الحقّ والمعارف الصحيحة، بل له معارف أخرى تتناسب مع أهوائه وميوله المادية، ولذا كان يتخوّف عليه السلام من أتباع الهوى، وينصح الناس بعدم متابعتهم ويقول:

● «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهُوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ؛
فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهُوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيَنْسِي الْآخِرَةَ» [خ: ٤٢].

١. النجى: الذي يساره.

٢. منى: أي صور الأمانى كذباً.

مضافاً إلى أن طول الأمل يقوم بخداع العقل وتضليله بحيث لا يتمكن من أداء وظيفته الرئيسة، قال عليه السلام:

● «وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ» [خ: ٨٥].

فالمغرور له معرفةٌ سقيمةٌ نشأت من سقم عمل العقل بسبب انخداعه بالأمل، فتكوّنت له معارف خاطئة غرّرت به وأدّت إلى شقائه:

● «الشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ» [خ: ٨٥].

وتبعاً لهذا سيتغيّر نمط حياة الإنسان.

ثالثاً: حبّ الدنيا

لحبّ الدنيا دورٌ بارزٌ في تغيير المفاهيم والمعارف عند الإنسان، وصياغة مفاهيم ومعارف أخرى، فحبّ الدنيا يسيطر على مشاعر الإنسان الإدراكية، ويصوغ له منهجاً فكرياً خاصاً يرفض من خلاله الحقّ أو يفسّره مقلوباً، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف هذه الحالة:

● «أَقْبَلُوا عَلَى حَيْفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى^١ بَصْرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ

١. أعشى بصره: أعماه.

سَمِيعَةٍ، قَدْ حَرَقَتْ الشَّهَوَاتِ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِيَتْ^١ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُ مَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُ مَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا» [خ: ١٠٨].

ويذكر لنا عليه السلام مصداقاً بارزاً لمن غير حب الدنيا منظومته الفكرية، فترك الحق رغم وضوح الدلائل، وهذا المصداق البغاة الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال في حقهم:

● «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَفَسَقَ آخَرُونَ كَانَتْهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣)؛ بلى! وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرُجُهَا» [خ: ٣].

نعم هكذا يصنع حب الدنيا في تغيير المنظومة الفكرية والتأثير على أدوات المعرفة من السمع والبصر وجهاز الإدراك، بحيث تتغير كل الموازين والقيم عند الإنسان، إذ:

● «مَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعَشَى^٢ بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ» [خ: ١٠٨].

١. الوله: ذهاب العقل والتحيز من شدة الوجد.

٢. أعشى بصره: أعماه.

رابعاً: الشبهة

تعدّ الشبهة مانعاً أساسياً تحول دون الوصول إلى المعرفة الصحيحة، إذ سمّيت بهذا

الاسم لأنّها تشبه الحقّ فتوهم المتلقّي بالصواب وهي ليست كذلك:

- «إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضَيَّأُوهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمُ الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى» [خ: ٣٨].

وهذا الصدد كان عليه السلام يجذّر دائماً من خطر الشبهة وإغوائها المعرفي، ويقول:

- «فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا» [خ: ٦٥].

وذلك أنّ الشبهة لو ارتفعت لو ضح الحقّ واتبع الناس المعارف الصحيحة:

- «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِرَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُؤْتَادِينَ؛ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ؛ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ^٢، وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ، فَيُمَزَّجَانِ! فَهَذَاكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى» [خ: ٥٠].

١. لبستها: إشكالها وعدم بيانها .

٢. الضغث: القبض من الحشيش .

خامساً: التضليل الإعلامي

يؤدّي التضليل الإعلامي دوراً مهماً في تكوين المعرفة السقيمة، وجعل الحقّ باطلاً والباطل حقاً، وهذا ما نراه اليوم عياناً بحيث أصبح الإعلام وسيلة من الوسائل القتاليّة الناعمة الفتاكة.

وفي نصّ مهمّ يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخطّة الإعلامية الماكرة الكبيرة التي بثّها معاوية لتضليل الناس، والتلاعب بمنظومتهم الفكرية كي يتمكّن من تأليبهم ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

● «أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُورَةِ، وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ» [خ: ٥١].

٣. المبني الأنثروبولوجي

الأنثروبولوجيا تعني علم الإنسان والحفر في الماضي للوقوف على آدابه وتقاليده، وقد توسّعت رقعتها اليوم لتشمل البحث عن حقيقة الإنسان، إذ إنّ هناك رؤيتين عامّتين حول الإنسان:

١. رؤية طويّة:

توصل الإنسان إلى الأعلى وتربطه بالغيب والخالق، ليكون حياً متألّهاً، وتفسّره على وفق المنظومة الوحيانيّة.

١. عمّس - بالتشديد والتخفيف - : أهمّ عليهم الخبر وجعله مظلماً.

٢. رؤية أفقيّة:

تجعل الإنسان في عرض سائر الكائنات وتربطه بالأرض ليكون حيواناً ناطقاً، وتفسّره على وفق المعطيات البشريّة الصرفة.

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام حول الإنسان في نهج البلاغة ينتمي إلى الطائفة الأولى، فهو لا ينكر جسمانيّة الإنسان وخلقه الماديّة، حيث يشير في كثير من خطبه وكتبه إلى هذه الحقيقة:

● «ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَا طَهَا^٢ بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ^٣، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَحْنَاءٍ وَوُضُوءٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُضُولٍ، أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ^٤، لِيُوقَتِ مَعْدُودٍ، وَأَجَلَ مَعْلُومٍ. ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِبِّلُهَا، وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدْوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ» [خ: ١].

● «بُدِئْتُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا...» [خ: ١٦٣].

١. الحزن: ما غلظ من الأرض.

٢. لاطها: أي مزجها.

٣. لزبت: أي التصقت وثبتت.

٤. أصلدها: جعلها صلداً أي صلّباً متيناً. وصلصلت: يُّسْت.

والإنسان في المنظومة العلوية لم يخلق عبثاً:

● «وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا» [خ: ١٩٥ ونحوه خ ٨٥].

بل إنه موجود مربوط بخالقه، ولا بد أن يسير وفق المنظومة المرسومة له من

ذي قبل:

● «وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهِهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا

هَذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ» [خ: ١٧٦].

وفي نص آخر:

● «إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمُ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا،

وَنَهَاكُمْ عَنْ أَسْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا» [ق: ١٠٠].

فالإنسان الرباني يخطط ويبرمج ويسلك سبيله في الدنيا على وفق المنظومة

الإلهية، ويأنس بالله ويستمد منه العون:

● «اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُّ الْأَيْسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكَفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ،

تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ،

فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ^٢، إِنْ أَوْحَشْتَهُمُ الْعُرْبَةَ أَنْسَهُمُ

ذِكْرَكَ، وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ

الْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ.

١. الانتهاك: خرق السر .

٢. الملهوفة: من اللفف وهو التعسر .

اللَّهُمَّ إِنَّ فَهْمْتُ^١ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيْتُ عَنْ طَلْبَتِي، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي،
وَأَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَاكَ بِنُكْرٍ^٢ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلَا بِيَدِّعٍ مِنْ
كَيْفَايَاتِكَ، اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ» [خ: ٢٢٦].

أما بخلاف هذا فسيكون الإنسان منكوسًا وفق المنظومة العلوية:

● «فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا، وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا، قَلْبٌ فَجَعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلُهُ، وَأَسْفَلُهُ
أَعْلَاهُ» [ق: ٦٥].

وبهذا سيكون:

● «الصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ، وَلَا
بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ» [خ: ٨٦].

ويقول عليه السلام في وصفهم:

● «ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وَتَشَاحُوا عَلَى الْحَرَامِ، وَرَفَعَ لَهُمْ عِلْمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ،
فَصَبَرُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ، دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنفَرُوا
وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا!» [خ: ١٤٤].

● «مَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ وَسَكِرَ سُكْرَ الصَّلَاةِ» [ق: ٢٧].

١. فهمت: عجزت.

٢. النكر: المنكر.

وخلاصة القول أنّ المباني الثلاثة هذه، تحدّد لنا رسم القواعد العامّة والخاصّة لنمط الحياة، فالمبنى الأنطولوجي والعقدي يحدّد لنا الخارطة العامّة، واعتماد الكون على مفهوم الألوهيّة حيث إنّ الله هو المبدأ وهو المنتهى، خلق الكون بقدرته وأرسل الهداة برحمته لهداية الناس، فالمبنى الأنطولوجي والعقدي يعتمد على الله تعالى خالق الكون والإنسان، وعلى النبيّ والإمام المعصوم عليه السلام لإيصال رسالة السماء إلى الإنسان وإنارة الطريق.

أمّا المبنى الإستمولوجي فيعتمد على القصديّة والواقعيّة، ووجود معنى مركزيّ للكلام لا بدّ أن يصل إليه الإنسان من خلال مختلف المصادر المعرفيّة التي أتاحتها الله تعالى للإنسان.

والمبنى الأثروبولوجي يعتمد على تحرّر الإنسان من أسر النفس والهوى من جانب، وعبوديته لله تعالى من جانبٍ آخر، حيث إنّ الإنسان يصل إلى كرامته المنشودة، والرقي في الكمالات والوصول إلى سعادة الدارين، من خلال تركيز معنى العبوديّة في نفسه، وتطبيقها في سلوكه وأعماله، وإلا سيكون عبداً للشيطان والهوى، ويصبح إنساناً منكوساً.

فهذه المباني الثلاثة تنتج لنا قواعد عامّة وخاصّة، لا بدّ أن يسلكها الإنسان ليصل إلى الحياة الطيّبة، فالقواعد هذه تعدّ نمطاً للحياة تختلف عن نمط الحياة الماديّة التي يميلها الهوى والشيطان، وتتبنّاه ماكنة الغرب الإعلاميّة، وستتناول هذه القواعد في القسم الثاني.

القسم الثاني: القواعد

ألف. قواعد السلوك العامّة

لُعلم أنّ تطبيق نمط الحياة العلويّة المستوحاة من نهج البلاغة في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، بحاجةٍ إلى خارطة طريقٍ يعتمد عليها السالك ليطبّق أفعاله وفقًا لها ويتلبّس بها، وبعد الغور في خطب أمير المؤمنين عليه السلام، وكتبه الواردة في أمكننا رسم هذه الخارطة - ولو بشكلٍ إجمالي - ضمن عدّة قواعد عامّة وفرعيّة، يصل الإنسان من خلال العمل بها إلى نمطٍ حياةٍ طيّبةٍ ترضي الله ورسوله وخليفته، وتوجب سعادة الإنسان في الدارين.

والقواعد هذه متنوّعة، فبعضها يتعلّق بالسلوك الفردي، والبعض الآخر بالسلوك الاجتماعي، وقسم منها ثقافيّة، وقسم آخر اجتماعيّة وسياسيّة، وجميعها

ترسم خارطة متكاملة لا تخصّ زماناً ومكاناً خاصّين، بل عامّة لجميع البشريّة مع قطع النظر عن الجغرافيا والزمان.

١. قاعدة «التمسك بالثقلين»

حديث وصيّة رسول الله ﷺ في التمسك بالثقلين، من الوصايا المحوريّة والمهمّة التي تضمن السلامة وعدم الانحراف والوقوع في الضلال، الأمر الذي ورد التصريح به والتأكيد عليه في الحديث، حيث قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتّى يردّا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» [الإرشاد للمفيد، ١: ٢٣٣]. وفي نمط الحياة العلويّة، ورد التأكيد كثيراً على التمسك بهما، وبيان ذلك في ما يأتي:

أ. القرآن

يعتمد أمير المؤمنين عليه السلام على القرآن كثيراً، ويقتبس منه في كتبه وخطبه، إذ هو المصدر الديني والمعرفي الأوّل «وفيه تبيان كلّ شيء» [خ: ١٨]. ومن هذا المنطلق فإن نمط الحياة العلويّة، والقاعدة الأولى عند أمير المؤمنين عليه السلام لسلك الفرد المؤمن، إنّما هو التمسك بالقرآن الكريم تلاوةً وفهماً وعملاً:

● «وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالثُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرَّيُّ النَّافِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لَا يَعْجُجُ فَيُتَمَامُ، وَلَا

بِرَبِّعٍ فَيَسْتَعْتَبُ، وَلَا تَخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ^١، وَوُلُوجُ السَّمْعِ^٢، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ^٣» [خ: ١٥٦].

● «وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَعْشُ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدًا إِلَّا قَامَ عَنْهُ بَرِيادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ: زِيَادَةٌ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ^٤، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى: فَاسْتَشْفَوْهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ^٥، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالتَّفَاقُ، وَالغَيُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدِّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ^٦ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلَى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرْتَةِ الْقُرْآنِ؛

١. أخلقه: ألبسه ثوبًا خلقًا أي باليًا، وكثرة الرد: كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة.

٢. ولوج السمع: دخول الأذان والمسامع.

٣. حيزت: مُنعت.

٤. الفاقة: الحاجة.

٥. اللأواء: الشدة.

٦. محل به القرآن: أي سعى به إلى الله تعالى، وقال في حقه قولاً يضره ويوقعه في المكروه.

فَكُونُوا مِنْ حَرَّتِهِ وَاتَّبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ،
وَأَتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ^١، وَاسْتَعِشُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ» [خ: ١٧٦].

● «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوْقُدُهُ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ، وَمَنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشِعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَانًا لَا يُخْمدُ بَرْهَانُهُ، وَتَبَيَانًا لَا تُهدِمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشى أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزِمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.

فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ^٢، وَبِنَايِيعِ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضِ الْعَدْلِ
وَعُدْرَانِهِ، وَأَنْفَاقِي^٤ الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانِهِ، وَأَوْدِيَةِ الْحَقِّ وَغَيْطَانِهِ^٥. وَبَحْرًا لَا يَنْرِفُهُ
الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعَيْبُونَ لَا يُضِيبُهَا الْمَاتِحُونَ^٦، وَمَنَاهِلٌ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ،
وَمَنْازِلٌ لَا يُضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمي عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَأَكَامٌ^٨ لَا
يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

١. اتهموا عليه آراءكم: أي إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ.

٢. بحبوحة المكان: وسطه.

٣. الرياض جمع روضة: مستنقع الماء في رمل أو عشب.

٤. الأنفاقي جمع أنفية: الحجر يوضع عليه القدر.

٥. الغيطان: المكان المظمئ من الأرض.

٦. لا ينضبها: لا ينقصها. الماتحون جمع ماتح: نازع الماء من الحوض.

٧. المناهل: موضع الشرب من النهر. لا يغيضها: لا ينقصها.

٨. أكام جمع أكمة: التل.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيْعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجِّ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ،
وَدَوَاءٍ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلًا وَثِيْقًا عُرُوْتُهُ، وَمَعْقَلًا مَنِيْعًا
ذُرُوْتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنْ اتَمَّ بِهِ، وَعُذْرًا لِمَنْ
انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَقَلْبًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ،
وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَجَنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَ^١،
وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى» [خ: ١٩٨].

ب. العترة الطاهرة

الثقل الثاني الذي يوصي أمير المؤمنين عليه السلام في التمسك والاقْتداء به هو العترة
الطاهرة؛ لأنهم ترجمان القرآن، والمهادون إلى معانيه الصحيحة، وهم لسان القرآن
الناطق، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام عن نفسه إثباتاً لهذا المبدأ:

● «ذِكْرَ الْقُرْآنِ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ» [خ: ١٥٨]؛

لأن:

● «الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ حَظٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّقَّتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ
تَرْجُمَانٍ؛ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرَّجَالُ» [خ: ١٢٥]،

والرجال هم العترة الطاهرة عليهم السلام. وفي مقام التمسك بهم يقول عليه السلام:

● «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ! وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ

١. استلام: اتخذه لأمة وهي الدرع الواسع.

مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ^١ وَيَبِينُكُمْ عِتْرَةَ نَبِيِّكُمْ! وَهُمْ أَرْمَةٌ الْحَقُّ [وَأَعْلَامُ الدِّينِ]، وَالسِّنَّةُ الصِّدْقِ [خ: ٨٦].

● «وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ؛ فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمَهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ» [خ: ١٤٧].

٢. قاعدة «وضوح الطريق»

مع وجود القرآن الكريم والعترة النبوية ﷺ، ومع التمسك بهم والالتفاف حولهم، يكون الطريق واضحاً لا لبس فيه، وهو ما أكد عليه أمير المؤمنين عليه السلام:

● «أَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ! بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَيَبِينُكُمْ عِتْرَةَ نَبِيِّكُمْ!»

ونحوها من الكلمات.

الزمان الذي عاشه أمير المؤمنين عليه السلام كان زماناً عصيباً مليئاً بالفتن والشبهات، ربّما يصعب على بعض المسلمين اتّخاذ الموقف الصحيح تجاه الأحداث الجارية والفتن والتحالفات المستحدثة، ولكن الميزان الذي يضعه أمير المؤمنين عليه السلام

١. تعمهون: تتحIRON وتضلون.

للخروج من هذا التيه واضح، وإنما هو الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام؛ فكان يؤكد ذلك في مختلف كتبه وخطبه ويقول:

● «الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِيَ الْكِتَابِ، وَأَثَارُ النَّبُوءَةِ، وَمِنْهَا مَنَفَذُ السُّنَّةِ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ» [خ: ١٦].

والطريق الوسط هم العترة:

● «نَحْنُ التَّمْرِقَةُ الْوَسْطَى، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْعَالِي» [ق: ١٠٤]؛

لذا قال في فتنة أصحاب الجمل:

● «إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ» [خ: ١٣٧]

ويأمر بالعمل وعدم التردد، ويقول:

● «اعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ» [خ: ٩٣].

فمع هذا الوضوح لا يُعذر من ضلّ الطريق وسلك في حياته مسلكاً يخالف هذا المنهج، وكوّن لنفسه نمطاً للحياة مغايرة لما يرسمه أهل البيت عليهم السلام.

٣. قاعدة «العبودية»

تتجلّى مقولة: (العبودية جوهره كنهها الربوبية) في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:

● «مَنْ رَئِحَ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَانِ يَرِدُ الْمَاءَ!» [خ: ١٢٤].

فهو سيرٌ وسلوكٌ من هذه الدنيا إلى الله تعالى من خلال العمل والالتزام بأوامره

وتعاليمه. لذا نرى كثرة تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على العمل، وأداء الفرائض، وبيان حكمتها ومصلحتها. قال عليه السلام في الحث على العمل:

● «وَيَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمَرًا نَاكِسًا^١، أَوْ مَرَضًا حَابِسًا، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا^٢» [خ: ٢٢٨].

وقال عليه السلام للمالك:

● «فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ» [ك: ٥٣].

ونحوه:

● «فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالتَّاهِبِ وَالِاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ» [خ: ٢٢٩].

وكانت من وصاياهم لملك الأشتر حينما ولاه مصر الالتزام بالعبودية فكتب له:

● «فَاعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ» [ك: ٥٣].

كما أنه يوصيه بأن يخص أفضل الأوقات للعبادة، ويذكره بأن نيته إذا كانت لله تعالى فستكون كل أعماله عبادة:

● «وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ» [ك: ٥٣].

● «اعْمَلُوا، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ^٣ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ؛ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ

١. ناكسًا: ناقصًا.

٢. حابسًا: أي يمنع من العمل. الخالس: الخاطف.

٣. المستعتب: طلب الرضا، أي فيه استرضاء الخالق سبحانه بالتوبة.

صَحِيحَةٌ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، وَالْأَعْمَالُ مُقْبُولَةٌ» [خ: ٩٣].

والعبودية هذه بحاجة إلى استقامة ومثابرة ولا تتحقق بالأمانى، قال عليه السلام بعد الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٩). فقال عليه السلام:

● «وَقَدْ قُلْتُمْ: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمُرُّوْا مِنْهَا» [خ: ١٧٦].

وتكراراً وتأكيذاً لموضوع الاستقامة على العبودية قال عليه السلام في الخطبة نفسها:

● «الْعَمَلُ الْعَمَلُ، ثُمَّ التَّهَيَّاتُ النَّهَائِيَّةُ، وَالِاسْتِقَامَةُ الِاسْتِقَامَةُ، ثُمَّ الصَّبْرُ الصَّبْرُ، وَالْوَرَعُ الْوَرَعُ!» [خ: ١٧٦].

ونهاية هذه العبودية تكون الفناء في الله تعالى وترك ما سواه:

● «إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمْ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعَظْمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ» [خ: ٢١٦].

١. قال ابن أبي الحديد في شرحه ١١: ١٠٢ تعليقا على هذا الكلام: «وهذا مقام جليل من مقامات العارفين، وهو استحقاق كل ما سوى الله تعالى، وذلك ان من عرف الله تعالى فقد عرف ما هو اعظم من كل عظيم، بل لا نسبة لشيء من الأشياء أصلاً إليه سبحانه، فلا يظهر عند العارف عظمة غيره البتة، كما أن من شاهد الشمس المنيرة يستحقر ضوء القمر والسراج الموضوع في ضوء الشمس حال مشاهدته جرم الشمس، بل لا تظهر له في تلك الحال صنوبرة السراج، ولا تنطبع صورتها في بصره».

وهؤلاء الرجال وصفهم عليه السلام بقوله:

● «وَبَقِيَ رَجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهَمُّ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ^١، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ^٢، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ^٣، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَتَكْلَانٍ مُوجِعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ^٤ التَّقِيَّةَ، وَشَمَلَتْهُمْ^٥ الدَّلَّةَ، فَهَمُّ فِي بَحْرِ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ^٦، وَقُلُوبُهُمْ فَرِحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَفَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا» [خ: ٣٢].

فهؤلاء ملؤوا أوقاتهم بالعبودية فنجوا من الحسرة.

● «وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ بَلِيَّةٌ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا قَطُّ فِيهَا سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعَتْهُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [خ: ٥٩].

وقد سمعوا مقولة أمير المؤمنين عليه السلام:

● «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ» [خ: ٢٧].

ثم إن العبودية تتجلى في الالتزام بالواجبات وترك المحرمات، الأمر الذي كان يؤكد

١ . الناد: المنفرد.

٢ . المقموع: المغلوب أو المذل.

٣ . المكعوم: من كعمت البعير إذا شددت فمه.

٤ . المخمول الذكر: الذي لا يعرفه أحد.

٥ . الضامر: المسك.

عليه أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً في خطبه وكتبه، فيقول:

● «الْفَرَائِضُ الْفَرَائِضُ! أَدُوهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ» [خ: ١٠٩].

وفي نصٍّ آخر يفصل الفرائض بقوله:

● «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُحَّانَهُ: الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذُرْوَةٌ^١ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ؛ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحُجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ^٢ الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ^٣ فِي الْأَجْلِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكْفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ» [خ: ١٠٩].

● «فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيرًا مِنَ الشُّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهًا عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيحًا لِلرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ، وَالْحَجَّ تَقَرُّبَةً لِلدِّينِ، وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعًا لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنَامَةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدَّمَاءِ، وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا

١. الذروة: أعلى السنام.

٢. يرحضان: يغسلان.

٣. منسأة: من نسا في أجله أي أخره.

لِلْمَحَارِمِ، وَتَرَكَ شُرْبَ الْخَمْرِ تَحْصِينًا لِلْعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِجَابًا لِلْعِفَّةِ، وَتَرَكَ الزُّنَى تَحْصِينًا لِلنَّسَبِ، وَتَرَكَ اللَّوَاطِ تَكْثِيرًا لِلتَّسَلِّ، وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَارًا عَلَى الْمُجَاهِدَاتِ، وَتَرَكَ الْكُذْبَ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ، وَالسَّلَامَ أَمَانًا مِنَ الْمَخَافِ، وَالْإِمَامَةَ نِظَامًا لِلْأُمَّةِ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيمًا لِلْإِمَامَةِ» [ق: ٢٤٣].

فالعبوديّة في المنهج العلوي ونمط الحياة العلويّة، لا تتحقّق من دون الالتزام التام بالأوامر والنواهي الشرعيّة، خلافاً لما يظنّه بعض المتصوّفة من القول بقشريّة الواجبات وترك المحرّمات، بل إنّها من صميم الدين وجوهره، وهي التي توصل الإنسان إلى الكمالات من خلال المداومة والاستمرار عليها.

مضافاً إلى أنّ كلمات أمير المؤمنين عليه السلام هذه، تؤكّد على لزوم الاستفادة من كلّ لحظة في الحياة لتكون في طاعة الله، كي لا تتحوّل إلى حسرة يوم القيامة، وذلك من خلال توجيه وجهه الإنسان نحو الله تعالى ليكون قلبه منشغلاً به دائماً.

٤. قاعدة «الحقّ والباطل»

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة: ١٤٧). وتؤكّد هذا المعنى آية أخرى وتحصر الباطل في كلّ ما سوى الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ (لقمان: ٣٠). والمؤمن لا بدّ أن يقف إلى جانب الحقّ وينكر الباطل، ويستعين بالله في ذلك: ﴿وَيَمُنَّ اللَّهُ بِالْبَاطِلِ وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ (الشورى: ٢٤).

وهذا الأمر قد تجلّى بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

الظاهرية، إذ اختلط الحقّ والباطل كثيرًا، فأشكل على بعض المسلمين تحديد الموقف الصحيح، كما حصل ذلك للحارث بن حوط حينما سأل أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

● «أتراني أظنُّ أصحابَ الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السلام: يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتُ؛ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَبَاهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ آتَاهُ» [ق: ٢٥٣].

فمعرفة الحقّ للتمسك به، ومعرفة الباطل لتركه، أساسان مهمّان في نمط الحياة العلوية:

● «حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ» [خ: ١٦].

والله تعالى رزق الإنسان:

● «مَعْرِفَةٌ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ» [خ: ١]

كما أنّه تعالى:

● «قَدْ أَوْضَحَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشَقِيقَةٌ لِأَزْمَةٍ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ!» [خ: ١٥٧].

وعليه فإنّ نمط الحياة العلوية تقتضي متابعة الحقّ والتمسك به، وترك الباطل وعدم العمل به، كما هو الحال في المؤمن حيث:

● «يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ» [خ: ٨٦].

وكذلك المتقي حيث:

● «لَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ» [خ: ١٩٣].

وفي مقام التفاضل وبيان موقعية الناس في الميزان الإلهي، نرى أن لصاحب الحق العامل به الحظّ الأوفر، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّثَهُ^١ - مِنْ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ وَزَادَهُ» [خ: ١٢٥].

وهذا هو سرّ وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام بمتابعة الحقّ والخوض فيه:

● «وَحُضِرَ الْعَمَرَاتِ^٢ إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ» [ك: ٣١]،

وما قاله عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه:

● «لَا يُؤْنَسُنَا إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشُنَا إِلَّا الْبَاطِلُ» [خ: ١٣٠]،

وما عهده عليه السلام للأشتر:

● «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ» [ك: ٥٣].

لكنّ الحقّ رغم وضوحه وكثرة الدلالات عليه، فإنّ هناك من يتركه ويميل إلى الباطل بسبب عدّة عوامل تسبّب انحراف الإنسان عن جادة الحقّ:

١. كرثني هذا الأمر كرثاً: إذا ثقل عليك.

٢. الغمرات: الشدائد.

منها ترك الطاعة قال عليه السلام:

● «فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاصِحَّةً، وَسُبُلًا نَبِيْرَةً، وَمَحَبَّةً نَهْجَةً^١، وَغَايَةً مُطَلَّبَةً^٢، يَرِدُهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ^٣، مَنْ نَكَبَ^٤ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ» [خ: ٣٠].

ومنها نسيان الآخرة، كما قال عليه السلام: بحق عمرو بن العاص:

● «إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ» [خ: ٨٣].

ومنها اتباع الهوى كما قال عليه السلام:

● «... فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُضِدُّ عَنِ الْحَقِّ» [خ: ٤٢]،

ومنها النفاق، إذ إن المنافقين:

● «أَعَدُّوا لِلْكَلِّ حَقًّا بَاطِلًا» [خ: ١٩٤].

ومنها النزاع والجدال:

● «مَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ» [ق: ٢٧].

وأخيرًا ولأهمية الحق في المنظومة العلوية، يرفع أمير المؤمنين عليه السلام يده بالدعاء للمسلمين ويقول:

● «أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ» [خ: ١٧٣].

١. النهجة: الواضحة.

٢. غاية مطلوبة: مساعفة لطالبتها بما يطلبها.

٣. الأنكاس - جمع نكس - وهو الدنيء من الرجال.

٤. نكب: عدل.

وهو كذلك إذ رؤية الحقّ والتمسك به والثبات عليه ولا سيّما في زمن الفتن والاختبارات، بحاجة إلى دعاء وتوسّل إلى الله تعالى، ليهدي الإنسان أوّلاً إلى الحقّ، ويثبّته عليه ثانياً.

٥. قاعدة «الخير والشرّ»

الحياة اليوميّة مليئة بالخيرات والشرور، وينبغي لمن أراد الحياة الطيّبة والفوز بالجنّة التمسك بالخيرات وترك الشرور. ثمّ إنّ معرفة الخير والشر لم يكن أمراً صعباً، وذلك:

● «إِنَّ اللَّهَ سُيْحَانُهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْذِفُوا عَنْ سَمِّ الشَّرِّ تَقْصِدُوا» [خ: ١٦٧].

فما يدعو إلى الجنّة خير، وما يدعو إلى النار شرّ ومن عمل الشيطان:

● «مَا خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ، وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ» [ق: ٣٧٧].

ومن هذا المنطلق تفتضي نمط الحياة العلويّة متابعة الخير وترك الشرّ، وهذا ما ورد التأكيد عليه مراراً وتكراراً في نهج البلاغة. قال عليه السلام:

- «إِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ» [خ: ١٦٧].
- «فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَأَذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: (يَا بَنَ آدَمَ، اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ)» [خ: ١٧٦].

● «افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْزِنُوا مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَدًا أَوْلَىٰ بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ، إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ» [ق: ٤١٠].

وأخيرًا فإنَّ أفضل من الخير من يفعله، وشرًّا من الشر فاعله، كما قال ﷺ:

● «فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ» [ق: ٢٨].

وهذا يبيِّن أهميَّة الإنسان المؤمن ومنزلته عند الله تعالى، كما يكون نعم الوازع للعمل بالخيرات وترك الشر، إذ المؤمن إذا فعل الخيرات - أيًّا ما كانت من واجبات ومستحبات - فهو يصبح أفضل منها، فإذا حجَّ وصلَّى وتصدَّق وزار، سيكون أفضل منها جميعًا وكذلك العكس، فإنَّ فاعل الآثام والموبقات والفواحش شرَّ منها وأضلَّ سبيلًا.

٦. قاعدة «التعامل مع الدنيا»

الدنيا هي الرحم الذي يتكامل فيه الإنسان، ويستعدُّ لدخول عالم الآخرة، والوصول إلى الحياة الخالدة من خلال الزاد الذي يتزوَّد به أيام حياته الدنيويَّة، فهي معبرٌ وقنطرة. الدنيا مكان تجلِّي نمط الحياة ونوعيَّة سلوك الإنسان، فلها دورٌ محوريٌّ في حياة الإنسان.

يُعدُّ كلام أمير المؤمنين ﷺ مرآة صافيةً تعكس للإنسان حقيقة الدنيا، ويبيِّن له الموقف الصحيح، فكلامه ﷺ خارطة طريق ومنظومة متكاملة حول الدنيا. إنَّه ﷺ

يبدأ من اللحظات الأولى التي تكوّنت فيها الأرض والسماء والهواء والماء، فيشرح ذلك بدقّة متناهية، ويعقبه بخلق الملائكة لتدبير شؤون الدنيا، ثمّ يردف كلامه بخلق الإنسان، وإرسال الرسل والأنبياء لهدايته وإيصاله إلى الكمال المطلوب [خ: ١].

قد رسم الباري - عن طريق رسله وأنبيائه - نمط الحياة التي يريد لها من الإنسان في الحياة الدنيا:

● «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَدَّ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيلَةِ^١، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهِهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ» [خ: ١٧٦].

الدنيا قنطرة

في المنظومة العلوية تجاه الدنيا، ونمط الحياة المطلوبة، يرى الإنسان الدنيا قنطرة، ولم يكن لها استقلاليّة وموضوعيّة:

● «الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا، وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا» [ق: ٤٥١].

فهي إذاً:

● «دَارُ مَمَرٍّ إِلَى دَارٍ مَقَرٍّ» [ق: ١٢٦].

يؤكد أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة لابنه الإمام الحسن عليه السلام ويقول له:

١. أعذر إليكم بالجلية: أي بالأعدار الجليلة والبراهين الواضحة.

● «وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلٍ قُلْعَةٍ^١، وَدَارٍ بُلْعَةٍ^٢، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ» [ك: ٣١]،

ويوصي أتباعه وشيعته وجميع المسلمين ويقول لهم:

● «إِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَخْلُقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَرْوُدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ» [خ: ١٣٢].

● «أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْعَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ، أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا.

وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَدَّرَتْكُمْ شَرَّهَا، فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْصِرُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا، وَلَا يَخَنَّ^٣ أَحَدُكُمْ خَيْنَ الْأُمَّةِ عَلَى مَا زُوِيَ^٤ عَنْهَا» [خ: ١٧٣].

التحذير من الدنيا

إذا كانت الدنيا هكذا، فحريٌّ بالمؤمن أن يجذر منها، وقد أكثر أمير المؤمنين عليه السلام من التحذير من الدنيا والاعتذار بها. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ

١. منزل قلعة: أي ليس بمستوطن.

٢. البلغة: ما يتبلغ به العيش.

٣. الخين: البكاء في الأنف.

٤. زوي: قبض.

بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ^١ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْعُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا^٢، وَلَا تُؤْمِنُ فَجَعَتْهَا، غَرَارَةَ ضَرَارَةٍ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ^٣، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ^٤، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ^٥، لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِِلَى أُمَّيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَى بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ كَمَا إِ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (الكهف: ٤٥).

لَمْ يَكُنْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبْتَهُ بَعْدَهَا عِبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحْتَهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا^٦، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةٌ^٧ رَخَاءٍ إِلَّا هَتَنْتَ^٩ عَلَيْهِ مُرْنَةً بِلَاءٍ! وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكَّرَةً، وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْدُوذِبَ وَاحْلَوْلَى، أَمْرٌ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى^{١٠}!

١. راقت: أي أعجبت.

٢. الحبرة: السرور.

٣. حائلة: متغيرة.

٤. نافذة: فانية.

٥. بائدة: منقضية.

٦. أكالة: قتالة، غوالة: مهلكة، والغول: ما غال أي أهلك.

٧. أي لم يلق بطنًا من سرور الدنيا وفرحها، إلا منحته وأعطته ظهرًا من ضرائها.

٨. طله السحاب: إذا أمطره مطرًا قليلًا. الديمة: مطر ليس فيه رعد وبرق وأقله ثلث النهار أو الليل.

٩. هتنت: مطرت كثيرًا.

١٠. أوبى: صار وبيًا، من الوباء.

لَا يَنَالُ أَمْرُؤُ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا! وَلَا يُمَسِّي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمٍ^١ خَوْفٍ! غَرَارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَرْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كُمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبْهَةِ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا! سُلْطَانُهَا دُولٌ^٢، وَعَيْشُهَا رِنَقٌ^٣، وَعَدْبُهَا أُجَاجٌ، وَحُلُوهَا صَبْرٌ^٤، وَغَدَاؤُهَا سِمَامٌ^٥، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ^٦، حَيْثُهَا بَعْرَضُ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بَعْرَضُ سَقَمٍ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيرُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنكُوبٌ^٧، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ^٨.

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا، وَأَبْعَدَ أَمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْتَفَى جُنُودًا! تَعَبُّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ^٩.

١. القوادِم: مقاديم جناح الطائر.

٢. سلطانها دول: أي منتقل.

٣. الرنق: الكدر.

٤. الصبر: النبات المر نفسه، ثم سمي كل مر صبرًا.

٥. السمام: جمع سم.

٦. أسبابها رمام: أي حبالها بالية.

٧. موفورها: ذو الوفرة والثروة منها.

٨. المحروب: المسلوب.

٩. ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق.

فَهَلْ بَلَّغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ! أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ! أَوْ أَحْسَنْتَ لَهُمْ صُحْبَةً! بَلْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَاحِشِ، وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ^١، وَصَعَّضْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرْتَهُمْ لِلْمَنَاحِرِ^٢، وَوَطَّئْتَهُمْ بِالْمَنَاسِمِ^٣، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَبِّبَ الْمُنُونِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا^٤، وَأَثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ.

هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّعَبَ! أَوْ أَحَلَّتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ! أَوْ نَوَّرْتَ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ! أَوْ أَعَقَّبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ! أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِيصُونَ؟ فَبَسَّسَتِ الدَّارَ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا!

فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَاتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ: ﴿قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْنا قُوَّةً﴾ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا، وَأَنْزِلُوا [الْأَجْدَاثَ] فَلَا يُدْعَوْنَ صِيفَانًا، وَجَعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانًا^٥، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانًا، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانًا، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا، وَلَا يَمْنَعُونَ صَيِّمًا^٦، وَلَا يُبَالُونَ

١. القوارع: المحن والدواهي.

٢. عفرتهم للمناخر: ألصقت أنوفهم بالعفر، وهو التراب.

٣. المناسم: جمع منسم وهو خفّ البعير.

٤. دان لها: أطاعها.

٥. الصفيح: الحجارة، والأجنان: جمع جنن ما بقي، وهنا القبر.

٦. الصميم: الظلم.

مَنْدَبَةً^١، إِنْ جِيدُوا^٢ لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ فُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وَهُمْ آخَادٌ،
وَجِيْرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيْبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ
أَضْغَانُهُمْ، وَجُهْلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ^٣، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ،
اسْتَبَدُّوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً،
فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حَفَاةً عَرَاةً، قَدْ طَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ
وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا
إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) [خ: ١١٠].

● «وَأُحْذِرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا مَنْزِلٌ قُلْعَةٌ^٤، وَلَيْسَتْ بِدَارٍ نُجْعَةٍ^٥، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا،
وَعَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا،
وَحَيَاتِهَا بِمَوْتِهَا، وَخُلُوهَا بِمِرِّهَا، لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى
أَعْدَائِهِ، خَيْرُهَا زَهِيدٌ^٦، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ^٦، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا
يَخْرُبُ. فَمَا خَيْرٌ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضُ الْبِنَاءِ، وَعُمُرٌ يَفْنَى فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٌ تَنْقَطِعُ
انْقِطَاعَ السَّيْرِ!» [خ: ١١٢].

١. مندبة: الندب على الميت، أي لا يبالون بذلك.

٢. جيدوا: أمطروا.

٣. لا يخشى فجعهم: لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر.

٤. منزل قلعة: أي تحوّل وارتحال، وليست بمستوطنة.

٥. النجعة: طلب الماء والكلاء.

٦. عتيد: أي حاضر.

● «... وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا. فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبَ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ! فَعُضُوا عَنْكُمْ -عِبَادَ اللَّهِ- غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ آيَقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا. فَاحْذَرُواهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ: قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ^١، وَزَالَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ؛ فَبَدَّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقَدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا. لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَتَنَاصِرُونَ، وَلَا يَتَنَاسِلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ. فَاحْذَرُوا، عِبَادَ اللَّهِ، حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، أَلْمَانِعِ لَشَهْوَتِهِ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاصِحٌّ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدِّدٌ^٢، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ^٣» [خ: ١٦١].

● «وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُحُوصٍ، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ^٤، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مِيدَانَ السَّفِينَةِ تَصْفِقُهَا الْعَوَاصِفُ^٥ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، فَمِنْهُمْ

١. تزايلت: تفرقت، والأوصال: الأعضاء.

٢. الجدد: الطريق المستوي السلوك.

٣. القصد: القويم.

٤. القاطن: المقيم، والبائن: البعيد.

٥. تصفقها العواصف: تضربها بشدة ضرباً بعد ضرب.

الْغَرِقُ الْوَيْقُ^١، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى مِثْنُونِ الْأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ^٢ الرِّيحُ بِأَذْيَالِهَا،
وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَالِي
مَهْلِكٍ!^٣» [خ: ١٩٦].

● «فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا [عِدَارَةٌ] غَرَارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنْوَعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ
رَخَاوُهَا، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرَكُدُ^٣ بِلَاؤُهَا» [خ: ٢٢٩].

● «اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغُرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا
عَلَى حَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَزِدْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ،
سَمَتْ^٤ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرْرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا، وَلِنَزْوَتِكَ^٥
عِنْدَ الْحَفِيظَةِ^٦ وَاقِمًا قَامِعًا^٧» [ك: ٥٦].

١. الغرق الويق: الهالك.

٢. تحفزه: تسوقه.

٣. لا يركد: لا يزول.

٤. سمت: ارتفعت.

٥. النزوة: من نزا ينزو، أي وثب.

٦. الحفيظة: الغضب.

٧. وقمه: قهره، وقمعه: رده وكسره.

رفض الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَضْعَفَ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ^١، وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ^٢، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ؛ وَارْضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفِضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ^٣ بِهَا مِنْكُمْ» [خ: ٣٢].

● «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرَكَهَا، وَالْمُبْلِيَةَ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجَدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسْفَرٍ^٤ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَانَتْهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُوا عِلْمًا^٥ فَكَانَتْهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي^٦ إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا!

وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءٌ مِنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ، وَطَالِبٌ حَتِيثٌ يَخْدُوهُ^٧ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا! فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرَهَا، وَلَا تَعَجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْرَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا

١. القرظ: ورق السلم يُدبغ به، وحثالته: ما يسقط منه.

٢. الجلم: المقتصُّ نُجْز به أوبار الإبل، وقراضته: ما يقع من قرضه وقطعه.

٣. أشغف: أي أحرص.

٤. قوم سفر: أي مسافرون.

٥. أموا علمًا: أي قصدوا جبالًا.

٦. المجري ويجري: من أجريت الفرس أي أرسلتها، ثم نقل ذلك الى كل من يقصد بكلامه معنى أو يفعله غرضًا.

٧. الحثيث: السريع، ويخدوه: يسوقه.

إِلَى زَوَالٍ، وَصَرَاعَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَائٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ» [خ: ٩٨].

- «إِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ» [خ: ٢٢٢].
- «فَقَطَّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهَرُوا بِرِزَادِ التَّقْوَى» [خ: ٢٠٥].
- «أَلَا حُرٌّ يَدْعُ هَذِهِ اللَّمَازَةَ لِأَهْلِهَا؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا» [خ: ٤٤٤].

سرعة انقضاء الدنيا

إنَّ الفترة الزمنية التي يعيشها الإنسان في الدنيا بالنسبة إلى عالم الخلود الذي سيرحل إليه، لا تكون إلا قليلة، ولذا جاء في الذكر الحكيم: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ (المؤمنون: ١١٢-١١٣) وكما في الحديث الشريف: «الدنيا ساعة فاجعلها في طاعة» [عوالي اللئالي، ١: ٢٨٥، ح ١٣١]. إنَّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام مشحونٌ بتذكير سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت، فيقول عليه السلام:

- «إِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!» [خ: ١٨٨].
- «الْأَمْرُ قَرِيبٌ وَالْأَصْطِحَابُ قَلِيلٌ» [ق: ٦٩].

- «الرَّحِيلُ وَشَيْكُ» [ق: ١٧٧]،
 - «مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِقِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ!» [خ: ١١٣]
 - «وَلْيَنْظُرِ أَمْرُوهُ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا» [خ: ٢١٤]،
 - «إِذَا كُنْتُ فِي إِدْبَارٍ، وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ، فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى!» [ق: ٤٩٠]،
ويحذرنا عليه السلام ويقول:
 - «فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ» [ك: ٢٧]،
ويقول لابنه الحسن عليه السلام:
 - «وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ» [ك: ٣١].
- والمتصفح لنهج البلاغة يجد كثيرًا من هذه العبارات التي تذكّرنا بقرب الرحيل وسرعة انقضاء الدنيا، وإليك بعضها:
- «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَأَذَنْتُ بَوْدَاعِ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطْلَاعٍ» [خ: ٢٨].
 - «فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتَكُمْ مَخَالِبَ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عِلَاقُ الْأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوُرْدِ الْمُرُودِ» [خ: ٨٤].
 - «فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ النَّاوِي^١ السَّاكِنِ، وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّ الْآمِنِ، لَا يَرْجِعُ

مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَذْبَرْ، وَلَا يُدْرِي مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلْدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلَا يُعْرَنُّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا» [خ: ١٠٢].

- «وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ^٢، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ» [خ: ١٣٣].
- «مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرٍ^٣ غَدٍ!» [خ: ١٥٠].
- «وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَ الْمَنِيَّةِ^٤ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا^٥ وَقَدْ نَشِبَتْ^٦ فِيكُمْ،
- وَقَدْ دَهَمْتُمْ فِيهَا مُفْطِعَاتُ^٧ الْأُمُورِ، وَمُعْضَلَاتُ^٨ الْمَحْدُورِ» [خ: ٢٠٤].

ولترسيخ هذه الفكرة في أذهاننا وقلوبنا يستخدم أمير المؤمنين عليه السلام أسلوب التشبيه، فتارة يشبهه سرعة انقضاء الدنيا ببقية الماء في الإناء ويقول:

١. الجلد: الصلابة والجلادة.

٢. الموت أسمع داعيه: أي إنَّ الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كل حيٍّ، فلا حيٍّ إلا وهو يعلم أنه يموت.

٣. تبشير كل شيء: أول ما يبدو منه.

٤. ملاحظ المنية: منبعث نظرها.

٥. مخالباها: المخلب للسبع بمنزلة الظفر للإنسان.

٦. نشبت: علقته.

٧. الفطيع: ما جاوز الحد الشديد.

٨. أعضل الأمر: إذا صعب وتعذر.

● «أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَدَاءً^١ ؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ^٢ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُهَا» [خ: ٤٢]

● «أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَأَذْنَتْ بِانْقِضَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَدَاءً^٣، فَهِيَ تَحْفِزُ^٤ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُومًا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ^٥ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ^٦، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ^٧، لَوْ تَمَرَّزَهَا الصَّدِيَانُ^٨ لَمْ يَنْقَعِ^٩» [خ: ٥٢].

وتارةً يشبهه سرعة انقضائها بالظل، ويقول:

● «فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِعًا^{١٠} حَتَّى قَلَصَ^{١١}، وَزَائِدًا حَتَّى نَقَصَ» [خ: ٦٢].

١. الحداء: السريعة.

٢. الصبابة: بقية الماء في الإناء.

٣. الحداء: السريعة الذهاب.

٤. الحفز: الدفع من خلف.

٥. السملة: البقية من الماء تبقى في الإناء.

٦. الإداوة: المطهرة.

٧. المقلة: حصاة يقتسم بها الماء القليل في السفر ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم.

٨. تمرزها: تمصص الماء قليلاً قليلاً، والصدبان: العطشان.

٩. لم ينقع: لم يرو.

١٠. السابغ: التام.

١١. قلص: انقبض.

وأخرى بالمسافر فيقول:

● «فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ^١ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَانَتْهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمَّا عَلَمَا^٢ فَكَانَتْهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي^٣ إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا» [خ: ٩٨]،

● «فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكَبٍ وَقُوفٍ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ» [خ: ١٥٧].

● «إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكَبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا» [ق: ٤٠٣]،

● «وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَرَاكُمُ» [خ: ١٨٣].

وأخيراً التمثيل بالليل والنهار ومجيء الشمس والقمر، إذ إنَّ

● «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرَضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ» [خ: ٨٩].

● «وَإِنَّ غَائِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأُوبَةِ» [خ: ٦٣].

ويقول لابنه الإمام الحسن عليه السلام:

● «وَأَعْلَمُ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيبَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَإِنَّهُ يُسَارِبُهُ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا» [ك: ٣١].

ويقول عليه السلام:

١. قوم سفر: أي مسافرون.

٢. أموا علمًا: أي قصدوا جبلًا.

٣. المجري ويجري: من أجريت الفرس أي أرسلتها، ثم نقل ذلك الى كل من يقصد بكلامه معنى أو بفعله غرضًا.

● «وَانصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى وَشَهْرٍ انْقَضَى» [خ: ١٩٠].

فلماذا هذه الغفلة يا إنسان، ألا تعلم أنّ

● «نَفْسُ الْمَرْءِ حُطَّاءُهُ إِلَى أَجَلِهِ» [ق: ٦٩]،

● و«رَبُّ مُسْتَقْبَلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَعْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بِوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ» [ق: ٣٧٠].

وليس هذا إلا من طول الأمل والاعتزاز بالدنيا، إذ

● «لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ» [ق: ٣٢٥].

وهذا ما ينبهنا عليه أمير المؤمنين عليه السلام فيقول:

● «قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْأَجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْأَمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْأَجَلَةِ» [خ: ١١٢].

وهذا هو سبب هلاك الماضين حيث يقول عليه السلام:

● «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَعْيِبِ آجَالِهِمْ» [خ: ١٤٧].

فعلينا أن نستعدّ ونخشى حلول الموت ونحن في غفلةٍ عنه، كما قال أمير

المؤمنين عليه السلام:

● «فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَعْتَةَ الْأَجَلِ».

حَبِّ الدُّنْيَا

صحيح أن:

● «النَّاسُ أُنْبَاءُ الدُّنْيَا، وَلَا يُلَاقِمُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ» [ق: ٣٠٣]،

ولكن ليس هذا معناه الانخداع بالدنيا والاعتزاز بها الملازم لنسيان الآخرة، بل معناه أن الناس خلقوا من تراب الدنيا، وأودعت فيهم غرائز وشهوات لتلبية حاجاتهم الطبيعيّة، واستخدامها في الخيرات والمبرات، وهذه العلقة الجزئيّة لا ضير فيها إذ هي سلّم الكمال.

والمذموم إنّما هو الانخداع والاعتزاز بها، وهذا هو ما قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام:

● «أعظم الخطايا حب الدنيا» [غرر: ٢٤٦١]،

● «حَبِّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» [غرر: ٢٥١٩].

● «الوله بالدنيا أعظم فتنة» [غرر: ٢٤٤٨].

نستفيد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في نهج البلاغة وغيرها أنه ينتج من

حَبِّ الدُّنْيَا مضار، ومهالك كثيرة، نشير إلى أهمّها في ما يأتي:

١. نسيان الله تعالى،

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ، فَانْقَطَعَ

إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا» [غرر: ١٦٠]،

● «كيف يدّعي حب الله من سكن قلبه حب الدنيا» [غرر: ٢٥١٢].

● «إن كنتم تحبون الله فأخرجوا من قلوبكم حبّ الدنيا» [غرر: ٢٥١٠].

٢. نسيان الآخرة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَّفَاوَتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ عَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَا شِ بَيْنَهُمَا كَلِّمَا قَرَّبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعْدَ مِنَ الْآخِرِ، وَهُمَا بَعْدَ ضَرَّتَانِ!» [ح: ٩٨].

● «كيف يعمل للآخرة المشغول بالدنيا» [غرر: ٢٤٨٧].

● «لا تجتمع الآخرة والدنيا» [غرر: ٢٥٠٧].

٣. الابتلاء والشقاء والهلاك

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «إِيَّاكَ وَالْوَالِهَ بِالدُّنْيَا، فَإِنَّهَا تَوَرَّثَكَ الشَّقَاءَ وَالْبَلَاءَ، وَتَحْدُوكَ عَلَى بَيْعِ الْبَقَاءِ بِالْفَنَاءِ» [غرر: ٢٤٦٠].

● «سبب الشقاء حب الدنيا» [غرر: ٢٤٦٣].

● «كلّما ازداد المرء بالدنيا شغلاً وزاد بها ولهاً، أوردته المسالك وأوقعته في المهالك» [غرر: ٢٤٦٥].

٤. البعد عن التقوى والتورط في الآثام

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

- «حرام على كل قلبٍ متولٍّ بالدنيا أن يسكنه التقوى» [غرر: ٢٥٢١].
- «حبّ الدنيا يوجب الطمع» [غرر: ٢٥٢٠].
- «مَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا النَّاطِقَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ: هَمٌّ لَا يُعْبَهُ^١، وَحِرْصٌ لَا يَتْرُكُهُ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ» [ق: ٢١٨].

ذمّ الدنيا

إنّ ذمّ الدنيا من أبرز ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، فهو يصفها بالفناء والغدر والغرور، وغيرها من الصفات الدّامة لها، ذلك كلّهُ للتزهد فيها وانقطاع القلوب عنها، وفي ما يلي نشير إلى أهمّ ما ورد عنه عليه السلام في هذا المجال:

- «الدُّنْيَا دَارٌ مُنِي^٢ لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ، قَدْ عَجَلَتْ لِلطَّلَبِ، وَالتَّبَسَّتْ^٣ بِقَلْبِ النَّاطِرِ» [خ: ٤٥].
- «أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ نَصَرَمَتْ وَأَذَنْتَ بِانْقِصَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَدَاءَ^٤،

١. لا يغبه: لا يأخذه غبًا، بل يلازمه دائيًا.

٢. مني: أي قُدّر.

٣. التبست: اشتبهت أو اختلطت.

٤. الحداء: السريعة الذهاب.

فَهِيَ تَخْفِزُ^١ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا» [خ: ٥٢].

● «أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَجَّى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً» [خ: ٦٢].

● «مَا أَصِيفُ مِنْ دَارٍ أَوْلُهَا عَنَاءٌ وَآخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فِتْنًا، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزْنَ، وَمَنْ سَاعَاها فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ» [خ: ٨١].

● «إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ فَنَاءٍ، وَعَنَاءٍ، وَغَيْرٍ^٤، وَعَبْرٍ؛ فَمِنْ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسُهُ^٥، لَا تُحْطَى سَهْمُهُ، وَلَا تُؤَسَى^٦ جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ، أَكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ^٧. وَمِنْ الْعَنَاءِ أَنْ

١. الحفز: الدفع من خلف.

٢. ساعاها: أي سابقها، وهي مفاعلة من السعي، كأنها تسعى ذاهبة عنه، وهو يسعى جدًّا في طلبها، فكلَّ منها يطلب الغلبة في السعي.

٣. واتته: وافقته وطاوعته.

٤. الغَيْرَ: تقلب الأحوال.

٥. أوتر القوس: أي جعل لها وترًا وتبها للرمي.

٦. لا تؤسى: لا تعالج ولا تصلح.

٧. لا ينقع: لا يروى، يقال: نقتع أي أرويت.

الْمَرْءُ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ، لَا مَالًا حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ! وَمِنْ غَيْرِهَا أَنْتَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ^١، وَبُؤْسًا نَزَلَ. وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورَ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ، وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ. فَسُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَعْرَسُورَهَا! وَأَظْمَأَ رَيْبَهَا! وَأَضْحَى^٢ فَيْئَهَا! لَا جَاءَ يُرُدُّ^٣، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ^٤ [خ: ١١٣].

● «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ^٥ الْمَنَائِيَا، مَعَ كُلِّ جَزَعَةٍ شَرِقٌ، وَفِي كُلِّ أَكَلَةٍ غَصَصٌ، لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا يَهْدِمُ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادٍ مَا قَبَّلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ خَوْنٌ، وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ^٦، وَالْعُنُودُ الصَّدُودُ^٧، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ^٨.

حَالِهَا انْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زَلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ، دَارٌ

١. الزليل والزلول: الذي يمرّ سريعاً.

٢. ضحى الشمس: برزها.

٣. لا جاء يُرد: أراد به الموت.

٤. لا ماض يرتد: أراد به الميت.

٥. تنتضل فيه: تترامى فيه.

٦. كند النعمة: كفرها.

٧. العنود: الناقة تعدل عن المرعى وترعى ناحية، والصدود: المعرصة.

٨. الحيوود الميوود: أي المائلة.

حَرْبٍ^١ وَسَلْبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ، أَهْلَهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ^٢، وَلِحَاقٍ وَفِرَاقٍ. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَاسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمْ^٣ الْمَنَارِلُ، وَأَعْيَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ^٤، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ^٥، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشَلْوٍ^٦ مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ لِكَفِّهِ، وَمُرْتَفِقٍ^٧ بِخَدَّيْهِ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنِ عَزْمِهِ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةَ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيْلَةَ، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [خ: ١٩١].

- «دَارَ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةً، وَبِالْعَدْرِ مَعْرُوفَةً، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نُزَالُهَا. أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ^٨، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا» [خ: ٢٢٥].
- «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْعَلَةٌ عَنِ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصَبِّ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا، وَلَهَجًا بِهَا، وَلَنْ يَسْتَعْنِي صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ

١. الحَرْب: سلب المال.

٢. على ساق: أي شدة، وسياق: نزع الروح.

٣. لفظتهم: نبذتهم.

٤. المحاول: المطالب.

٥. معقور: مجروح.

٦. الشلوي: العضو.

٧. مرتفق بخديه: أي معتمد عليها حزناً وإبلاسا.

٨. تارات: مرات، ومتصرفة: متحوّلة.

مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقٌ مَا جَمَعَ، وَنَقْضٌ مَا أُبْرِمَ» [ك: ٤٩].

● «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سُمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحُبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنكَ هُمُومَهَا، لِمَا أُيَقِّنَتْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَكُنْ أَنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحَدَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصْتَهُ عَنْهُ إِلَى مَحْدُورٍ، أَوْ إِلَى إِيْنَسٍ أَرَاظَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيْحَاشٍ» [ك: ٦٩].

● «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَرُّ الْجَاهِلُ، وَيَحْدَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ» [ق: ١١٣].

● «إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَائِي، وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ، وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرْقٌ^٢، وَفِي كُلِّ أَكَلَةٍ غَصَصٌ، وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ» [ق: ١٨١].

● «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ^٣ فَتَجَنَّبُوا مَرَعَاهُ، فُلَعْتُهَا أَحْطَى^٤ مِنْ

١. تنتضل فيه: أي تصيبه وتثبت فيه.

٢. الشرق: وقوف الماء في الخلق.

٣. موبئ: ذو وباء.

٤. القلعة: عدم سكونك للتوطن. وأحطى: أسعد.

طُمَأْنِينَتَيْهَا، وَبُلْعَتْهَا^١ أَرْكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا، حُكِمَ عَلَى مُكْثَرٍ مِنْهَا بِالْفَاقَةِ، وَأُعِينَ
مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ، مَنْ رَاقَهُ زَبْرُجُهَا^٣ أَعْقَبَتْ نَاطِرِيهِ كَمَهَا^٤، وَمَنْ اسْتَشْعَرَ
الشَّغْفَ^٥ بِهَا مَلَأَتْ صَمِيرَهُ أَشْجَانًا، لَهُنَّ رَقِصٌ عَلَى سُؤْيِدَائِهِ قَلْبِهِ:

هَمْ يَشْعَلُهُ، وَغَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذَلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ^٦ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ، مُنْقَطِعًا
أَبْهَرًا^٧، هَبَّأَ عَلَى اللَّهِ فَنَاؤُهُ، وَعَلَى الْإِخْوَانِ الْفَاقَةُ» [ق: ٣٥٧].

● «مَنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا» [ق: ٣٧٥].

● «تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَابًا لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَا عِقَابًا لِأَعْدَائِهِ» [ق: ٤٠٣].

الاعتبار من الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «وَحَلَّفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَائِقِهِمْ، وَمُسْتَفْسَحِ
حَنَاقِهِمْ^٨.

١. البلغة: مقدار ما يتبلَّغ به من القوت.

٢. غني عنها: استغنى عنها.

٣. راقه: أعجبه. والزبرج: الزينة.

٤. الكمه: العمى.

٥. الشغف: الوله وشدة التعلق.

٦. الكظم: مجرى النفس.

٧. الأبهان: عرقان متصلان بالقلب.

٨. الحناق: النصب، والمستفسح: المتسع، والحناق: جبل يُخْتَق به، والمعنى: حلَّف لكم عبرًا من القرون

أَرْهَقْتَهُمُ الْمَنَايَا^١ دُونَ الْأَمَالِ، وَشَدَّ بَهُمْ عَنْهَا^٢ تَحَرُّمُ^٣ الْأَجَالِ، لَمْ يَمَهِّدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ^٤ ... عباد الله أين الذين عمروا فنعموا، وعلموا ففهموا، وأنظروا فلهوا، وسلموا فنسوا، أمهلوا طويلاً، ومُنحوا جميلاً، وحذروا أليماً، ووعدوا جسيماً» [خ: ٨٢].

● «فَاتَّعَظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعَبْرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ، وَازْدَجِرُوا بِاللَّذْرِ الْبَوَالِغِ، وَأَنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتَكُمْ مَخَالِبُ الْأَمْنِيَّةِ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأَمْنِيَّةِ، وَدَهَمْتَكُمْ مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ» [خ: ٨٤].

● «فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَادْكُرُوا تِيكَ الَّتِي أَبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ، وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلَا خَلَّتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ^٥ وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمْ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمِ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ» [خ: ٨٨].

● «أَوْلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ [مُزْدَجِرٌ]، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبِرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ! أَوْلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِي

السالفة، منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم، ومنها فسحة خناقهم وطول آمالهم، ثم كانت عاقبتهم الهلكة.

١. رهقه: غشيه، والمنية: الموت.

٢. شد بهم عنها: قطعهم وفرقهم.

٣. التحريم: الاستئصال.

٤. أنف الأوان: أوله.

٥. الأحقاب: المدد المتطاولة.

لَا يَبْقَوْنَ! أَوْلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَىٰ أَحْوَالِ شَيْءٍ : فَمَيِّتٌ يُبْكِي، وَآخِرُ يُعْزِي، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخِرٌ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتِ يَطْلُبُهُ، وَعَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ» [خ: ٩٨].

● «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَانَ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَانَ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانَ» [خ: ١٠٢].

● «الْكُتْمُ فِي مَسَاكِينِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَىٰ آثَارًا، وَأَبْعَدَ أَمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْفَفَ جُودًا! تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِثَارٍ، ثُمَّ ظَنَعُوا عَنْهَا بَغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ^١. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ! أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ! أَوْ أَحْسَنْتَ لَهُمْ صُحْبَةً! بَلْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ^٢، وَضَعَضْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرْتَهُمْ لِلْمَنَاخِرِ^٣، وَوَطَّئْتَهُمْ بِالْمَنَاسِمِ^٤، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَبِيبَ الْمُتُونِ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنْكُرُهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا حِينَ ظَنَعُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبْدِ. هَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّعْبَ! أَوْ أَحَلَّتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ! أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ! أَوْ أَعَقَبْتَهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ! أَفْهَدِهِ

١. ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق.

٢. القوارع: المحن والدواهي.

٣. عفرتهم للمناخر: أوصقت أنوفهم بالعفر، وهو التراب.

٤. المناسم: جمع منسم وهو خفّ البعير.

٥. دان لها: أطاعها.

تُؤَثِّرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِنَسْتِ الدَّارِ لِمَنْ لَمْ يَتَّهَمْهَا،
وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا!» [خ: ١١٠].

● «وَسْتَعْقِبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءً^١ : سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَائِكِ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقِي، لِيَعْظُمَكُمْ
هُدُوءِي، وَخَفُوتُ إِطْرَاقِي، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ
الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ» [خ: ١٤٩].

● «فَلْيَنْتَفِعْ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ
بِالْعَبْرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدًّا^٢ وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، وَالضَّلَالَ
فِي الْمَغَاوِي^٣» [خ: ١٥٣].

● «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً! أَيُّنَ الْعَمَالِقَةِ وَأَبْنَاءِ الْعَمَالِقَةِ! أَيُّنَ الْفِرَاعِنَةِ
وَأَبْنَاءِ الْفِرَاعِنَةِ! أَيُّنَ أَصْحَابِ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَأُوا سُنْنَ
الْمُرْسَلِينَ، وَأَحْيَوْا سُنْنَ الْجَبَّارِينَ! أَيُّنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجِيُوشِ، وَهَزَمُوا الْأُلُوفَ،
وَعَسَكَرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ!؟!» [خ: ١٨٢].

● «فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهَدَهُ^٤
الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرِي أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ سِنِي

١. جنة خلاء: خالية من الروح.

٢. الجدد: الأرض الصلبة.

٣. المهاوي: المساقط، والمغاوي: ما يغوى فيه.

٤. جهده: اجتهاده وجده.

الآخِرَةَ، عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. فَمَنْ بَعَدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمَ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ، كَلَّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخَلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أُخْرِجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ^١ فِي إِبَاحَةِ حِمِّي حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ» [خ: ١٩٢].

● «واعتبر بما مضى من الدنيا ما بقي منها، فإنَّ بعضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا، وَآخِرَهَا لِأَحَقِّ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ» [ك: ٦٩].

● «مَعَاشِرَ النَّاسِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَبَانٍ مَا لَا يَسْكُنُهُ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَنْتَرِكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ آسِفًا لَاهِفًا، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» [ق: ٣٣٤].

وختامًا يجمع هذا كله قوله ﷺ:

● «مَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقَلَّ الْأَعْتِبَارَ» [ق: ٢٨٨].

والخلاصة أنَّ أوجه الاعتبار كثيرة، منها الاعتبار بأحوال الماضين، وما كانوا عليه وما صاروا إليه، ومنها أحوال الموتى، ومنها تقلبات الدنيا وعدم بقائها على وتيرة واحدة، وكذلك سرعة انقضائها، ومنها أحوال إبليس وما آل أمره إليه، وإنَّه ليس بين الله وبين أحد من خلقه هواده، وإنَّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض واحد.

مدح الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «وَحَقًّا أَقُولُ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتَكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفْتِكَ الْعِظَاتِ^١،
وَأَذَنْتَكَ^٢ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ
فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ، وَكُرِبَ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ
مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبِيرِهَا مُكْذَّبٌ، وَلَيْتَن تَعَرَّفْتَهَا^٣ فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ^٤،
الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ،
وَالشَّحِيحِ بِكَ! وَلَنِعَمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا، وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا مَحَلًّا! وَإِنَّ
السَّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ» [خ: ٢٢٢].

وقال عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا:

● «أَيُّهَا الدَّامُ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا؛ أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَدْمُهَا!
أَأَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ! مَتَى اسْتَهْوَتْكَ^٦، أَمْ مَتَى

١ . كاشفتك العظات: أظهرت لك العظات.

٢ . آذنتك: أعلمتك.

٣ . تعرفتها: طلبت معرفتها.

٤ . الربع: الدار.

٥ . المتجرم: ادعى عليه الجرم.

٦ . استهواه: ذهب بعقله وأذله فحيره.

غَرَّتْكَ! أَيْمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَىٰ ١، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَىٰ! كَمْ عَلَلَّتْ ٢ بِكَفَّيْكَ، وَكَمْ مَرَّضَتْ بِيَدَيْكَ تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ، وَتَسْتَوْصِفُ ٣ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ [غَدَاةَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ، وَلَا يُجِدِي عَلَيْهِمْ بُكَاءُكَ]، لَمْ يَنْفَعِ أَحَدَهُمْ إِشْفَاؤُكَ ٤، وَلَمْ تُسَعِّفْ فِيهِ بِطَلَبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ! قَدْ مَثَلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ.

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَمَهْطٌ وَحْيِ اللَّهِ، وَمَنْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ. فَمَنْ ذَا يَدْمُهَا وَقَدْ آذَنْتُ ٥ بَيْنَهَا، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، فَمَثَلَتْ لَهُمْ بِبَلَاءِهَا الْبَلَاءَ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ! رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَّرَتْ ٦ بِفَجِيعَةٍ، تَرْغِيبًا وَتَرْهِيبًا، وَتَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا، فَدَمَّهَا رِجَالُ غَدَاةِ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَرْتَهُمُ الدُّنْيَا فَذَكَّرُوا، وَحَدَّثْتَهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعظْتَهُمْ فَاتَّعَظُوا [ق: ١٢٤].

١. البلى: الفناء بالتحلل.

٢. علل المريض: خدمه في علته ومرضه.

٣. تستوصف: طلبت الصفة أي الدواء.

٤. اشفاؤك: شفقتك.

٥. آذنت: أعلمت أهلها.

٦. ابتكرت: من البكورة أي غدت.

يظهر من هذه النصوص وكذلك ما ورد في ذمّ الدنيا أمور:

١. الدنيا ليست هي القرار ولا المقصد والمنتهى، بل هي وسيلةٌ ومقدّمةٌ غيرها، ومدحها أو ذمّها يتبع سلوك الإنسان فيها، فالنظرة إليها نظرةٌ آيةٌ لا استقلالية، فالإنسان إذا استفاد منها وأحرز بها الآخرة وتزوّد منها تكون بالنسبة إليه حسنة، ولكن إذا اغترّ ولم يعتبر ولم يتزوّد تكون بالنسبة له مضلّة، ولو صحّ التعبير لقلنا أنّها مرآة للإنسان تعكس ما هو عليه من صلاح أو فساد، وبتبعه تكون ممدوحةً أو مذمومةً، وهذا ما أكّده أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه حيث قال عليه السلام مضافاً إلى ما مضى:

● «وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتَهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ» [خ: ٨١].

● «إِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الأَعْمَى، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا، وَالبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالبَصِيرُ مِنْهَا شَاحِصٌ، وَالأَعْمَى إِلَيْهَا شَاحِصٌ، وَالبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ» [خ: ١٣٣].

٢. إنّ نصيب الإنسان من هذه الدنيا الذي سينفعه في العقبى هو العمل الصالح فحسب، قال عليه السلام:

● «إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ» [خ: ٣١].

● «لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الخَيْرَاتِ» [ق: ٨٩].

وفي غير هذه الصورة، لا يكون له سوى الحسرة في يوم القيامة، قال عليه السلام:
 ● «وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ بَلِيَّةٌ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا قَطُّ فِيهَا سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعْتُهُ عَلَيْهِ
 حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [ك: ٥٩]؛

ولذا نرى المؤمن يحدّر منها أشدّ الحذر، ولا يأخذ منها إلا بقدر الضرورة.
 قال عليه السلام:

● «إِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ، وَيَقْتَاتُ^١ مِنْهَا بِبَطْنِ
 الاضْطِرَارِ» [ق: ٣٥٧].

٣. إن الدنيا بالمعنى الثاني النابعة من سلوك الإنسان الصحيح، يمكن أن
 تجتمع مع الآخرة، بل هي مقدمة للوصول إليها، وسلم الترقّي نحوها، ولكن
 الدنيا بالمعنى الأول النابعة من الاغترار بها والخلود إليها، لا يمكنها أن تجتمع
 مع الآخرة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدَوَانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا
 وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَا شِ بَيْنَهُمَا
 كَلِمًا قَرَبٍ مِنْ وَاحِدٍ بَعْدَ مِنَ الْآخِرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ!» [ق: ٩٨].

١. يقتات: يأخذ من القوت.

٢. بطن الاضطرار: بقدر الضرورة.

٣. الطبقات لابن سعد ٣: ٢٨؛ وتحف العقول لابن شعبة: ٢١٢.

٤. ومن عجيب أمر الدنيا أنّ من ركض نحوها ابتعدت عنه، ومن تركها أتته، قال عليه السلام:

● «وَمَنْ سَاعَاهَا^١ فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ» [خ: ٨١].

وعلى الضابطة نفسها فإن من اشتغل واهتم بأمر الآخرة، سيصلح الله تعالى له أمر دنياه، قال عليه السلام:

● «مَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ» [ق: ٨٤]،

● «مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ» [ق: ٤١١].

● «مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا» [ق: ٤١٩].

وعلى العكس من هذا فإن من ترك الآخرة للوصول إلى الدنيا سيتضرر كثيرًا، قال عليه السلام:

● «لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضْرُّ مِنْهُ» [ق: ١٠١].

٧. قاعدة «ذكر الموت»

علم أمير المؤمنين عليه السلام أنّ جماع الدنيا لا ينكبح إلا بقاصم قاهر لها، ولم يكن إلا ذكر الموت والاستعداد له، فتمط الحياة العلوّويّ يرسم لنا منهجًا ناجحًا للخلاص من

١. ساعاها: أي سابقها، وهي مفاعلة من السعي، كأنها تسعى ذاهبة عنه، وهو يسعى جدًّا في طلبها، فكُل منها يطلب الغلبة في السعي.

أسر الدنيا وغرورها؛ لذا نرى كثرة تأكيده عليه السلام على الموت، وبيان منازل الآخرة في خطبه وكتبه، ويمكن رسم معالم تلك المواعظ ضمن النقاط الآتية:

شوق اللقاء

إنَّ شوق اللقاء والأنس بالموت لمن أبرز صفات الأولياء، حتى إنَّ الله تعالى قال في مقام الردِّ على اليهود الذين ادعوا كذباً وزوراً أنَّهم أولياء الله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجمعة: ٦)، وذلك أنَّ من كان صاحب محبة يتمنى لقاء محبوبه، فمن لا يتمنى ذلك لا يكون صادق المحبة.

وهذا الشوق نراه في أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان يقول:

● «وَاللَّهِ لَأَبْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسٌ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِتَنَدِي أُمِّهِ» [خ: ٥]،

● «وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاتٌ، وَلِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ» [خ: ٦٢]

● «وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لِأَقِ إِلَى الْمَوْتِ!» [خ: ١٨٠].

ولمَّا بشره رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالشهادة، وسأله عن صبره حينذاك قال عليه السلام:

● «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ» [خ: ١٥٦].

وهذا الخلق تجسّد في أولاده وأحفاده؛ ولذا نرى القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام في كربلاء رابط الجأش مستبشراً ببشارة الشهادة، وقائلاً لعمّه الحسين عليه السلام لما سأله

عن الموت: «يا عمّ أحلى من العسل». وهكذا كان أصحاب الحسين عليه السلام حيث وصفهم بقوله: «يستأنسون بالمنيّة دوني استئناس الطفل بلبن أمّه».

هذا الحب وهذا الشوق من أبرز صفات العارفين، وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية يتهدّده بهم:

● «مُتَسَرِّبِينَ سَرَائِلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ» [ك: ٢٨].

وقال أيضًا فيهم:

● «وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ» [خ: ١٩٣].

● «أَيْنَ عَمَّارًا! وَأَيْنَ ابْنَ التَّيْهَانِ! وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ» [خ: ١٨٢].

فهؤلاء هم الذين:

«صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى» [ق: ١٣٧].

هذا وقد ورد في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام في وصف المشتاقين: «المشتاق لا يشتهي طعامًا، ولا يلتذّ شرابًا، ولا يستطيب رقادًا، ولا يأنس حميمًا، ولا يأوي دارًا، ولا يسكن عمرانًا، ولا يلبس لينًا، ولا يقرّر قرارًا، ويعبد الله ليلاً ونهارًا راجيًا بأن يصل إلى ما يشتهق إليه، ويناجيه بلسان شوقه معبرًا عمّا في سريره... ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همّة إلا خلاصه، وقد نسي كل شيء دونه» [مصباح الشريعة: ١٩٦].

هذه الخصلة ربما لا تكون في كثير منّا، وليس ذلك إلا للحجب التي غطّت قلوبنا، وأبعدتنا عن المعرفة وعن تذوق حلاوة المحبة، فعلينا:

أولاً: الدعاء بأن يرزقنا الله تعالى شوق لقائه، فقد ورد في زيارة أمين الله: «اللهم فاجعل نفسي مطمئنةً بقدرك... مشتاقةً إلى فرحة لقاءك» [مصباح المتعجب: ٧٣٨]. وكذلك ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في مناجاة المريدين: «وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون»، وفي مناجاة المحييين: «إلهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقبرك... وشوقته إلى لقاءك»، وفي مناجاة العارفين: «إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم».

وثانياً: استذكار نعم الله تعالى في الجنة والتفكير فيها، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «شوقوا أنفسكم إلى نعيم الجنة تحبوا الموت وتمقتوا الحياة» [غرر: ٥٧٧٩].

ويقول عليه السلام أيضاً بعدما وصف الجنة:

● «فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُضُوءِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِرِ الْمُؤَنِقَةِ^١، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَلَتْ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةٍ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا» [خ: ١٦٥].

وثالثاً: التفكير في النعم الدنيوية التي هيأها الله تعالى للإنسان، وكذلك نعمة إرسال الرسل والأنبياء لتقويم الإنسان وهدايته، مما يدل على شفقتة وحبّه للإنسان، وهذا ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام لما سُئل: بماذا أحببت لقاء الله؟ فقال:

● «لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه، علمت أنّ الذي أكرمني بهذا ليس ينساني، فأحببت لقاءه» [بحار الأنوار ٦: ١٢٧].

ومع هذا كلّه فأمر المؤمنين عليه السلام يلفت انتباهنا إلى نقطة مهمّة، وهي أن لا نتمنّى الموت قبل أن نستعدّ له، فقد قال عليه السلام:

● «وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ» [ك: ٦٩].

أي لا تتمن الموت إلا وأنت واثق من أعمالك الصالحة، وتحصيل ما يوجب رفع الدرجات في الآخرة.

ذكر الموت

إنّ من أهمّ دواعي التنفير من الدنيا والتزوّد للأخرى ذكر الموت، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «يَا بُنَيَّ، أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذَكَرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُقْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْكَ، وَلَا يَأْتِيكَ بَعْتَهُ فَيَبْهَرُكَ» [ك: ٣١].

ويقول أيضاً:

● «طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ» [ق: ٣٩].

ويوصي ﷺ المسلمين عموماً ويقول:

● «وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَأَقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ!» [خ: ١٨٨]،

● «أَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ» [خ: ١١٢].

وقد وصف ﷺ خلص صحابة رسول الله ﷺ، وقال:

● «وَيَقِفُونَ عَلَيَّ مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ!» [خ: ٩٦].

ولذكر الموت فوائد كثيرة ومنافع جمّة، وقد ورد ذكر بعضها في نهج البلاغة وهي:

ترك اللهو واللعب: قال أمير المؤمنين ﷺ:

● «أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ» [خ: ١٣٨].

١. ترك الشهوات والملذذ الدنيوية:

قال أمير المؤمنين ﷺ:

● «أَلَا فَادُّكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ، وَمُنْعَصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الْأُمْنِيَّاتِ، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ^١ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ» [خ: ٩٨]،

● «فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لَذَاتِكُمْ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ طَيِّبَاتِكُمْ» [خ: ٢٢٩]،

● «اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَاتِ، وَبَقَاءَ التَّيْبَعَاتِ» [ق: ٤٢١].

١. المساورة: الموائمة.

٢. طياتكم: منازلكم.

وقال عليه السلام: في عهده للأشتر بعدما أمره بترك خصال:

● «وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ» [ك: ٥٣].

٢. خشوع القلب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام:

● «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ» [ك: ٣١]،

وقال:

● «وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرَ الْمَرْجِعِ، وَأَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ» [خ: ٣٢].

٣. القناعة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسْرِ» [ق: ٣٣٩].

٤. الأعمال الصالحة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا» [ك: ٥١].

● «وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ» [ق: ٢٧].

● «مَنْ تَدَكَّرَ بَعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ» [ق: ٢٧١].

حتمية الموت للإنسان

إنَّ من نتائج الانغماس في ملاذ الدنيا نسيان الموت، رغم ما نرى من كثرة الموتى حولنا، فكأنَّ الموت فيها على غيرنا كُتِب، وهذه آفةٌ لا بد أن نتخلَّص منها ونتيقن بأننا ميِّتون، وهذا ما أمر به أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام حيث أمره بإحياء قلبه بالمواعظ وبصفاتٍ آخر، ثم قال:

● «وَقَرِّزُهُ بِالْفَنَاءِ» [ك: ٣١]،

ويأمرنا بذلك أيضًا ويقول:

● «فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُوءَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ» [خ: ١٩٦].

وتقريراً لذلك يذكر أمير المؤمنين عليه السلام شواهد من مات من الأنبياء والعظماء ويقول:

● «فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا، أَوْ لِدْفَعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ

بْنُ دَاوُدَ عليه السلام، الَّذِي سَحَّرَ لَهُ مَلِكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الرُّزْقَةِ^٢، فَلَمَّا

اسْتَوَفَى طُعْمَتَهُ^٣، وَأَسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قَيْسِي^٤ الْفَنَاءِ بِنَبَالِ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتْ

الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً، وَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ

السَّلَافَةِ لَعِبْرَةٌ!» [خ: ١٨٢].

١. قرره بالفناء: اطلب منه الإقرار بالفناء.

٢. الرزقة: القرب.

٣. طعمته: كناية عن الرزق.

٤. القيسي: القوس.

إِنَّ الْمَوْتَ يَلِازِمُنَا وَلَا يَنْجُو مِنْهُ أَحَدٌ، يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام:

● «فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ» [خ: ٣٨]،

● «وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِي^١ لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ» [خ: ٤٥]

ويوصينا عليه السلام ويقول:

● «فَأَزْمَعُوا^٢ عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ» [خ: ٥٢]،

ويذكرنا بأن الدنيا:

● «كُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ» [خ: ٩٨].

والله تعالى وعد وألزم نفسه بذلك، قال عليه السلام:

● «وَأَيُّ^٣ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَيْخٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ، إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ^٤

مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ» [خ: ١٦٥].

وهذه الحتمية وهذا اللزوم لا ينفعه الفرار، إذ:

● «الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ^٥، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مَوْافَاتُهُ» [خ: ١٤٩].

١. مُني: أي قُدِّر.

٢. أزمعوا: اعزموا.

٣. وأي: وعد.

٤. الحمام: الموت.

٥. مساق النفس: أي الأمر الذي تساق إليه النفس.

وذلك لأن:

● «الْمَوْتُ طَالِبٌ حَيْثُ^١ لَا يَفُوتُهُ الْمُتَمِيمُ، وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ» [خ: ١٢٢].

وقد قال عليه السلام أيضًا:

● «وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ^٢، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ، الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ، وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ» [خ: ٢٧].

وأخيرًا يوصي ابنه الإمام الحسن عليه السلام، ويذكره ويقول له:

● «وَأَنَّكَ طَرِيدٌ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ» [ك: ٣١].

سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت

ربما يغترّ الإنسان ويغفل رغم إذعانه واعترافه بأصل الموت، ولكن يزعم أن بينه وبين الموت مسافة، وأنه غير مدركه بهذه السرعة، فهو في غفلة عنه، ولم يجعله من أولويات مهامه وأموره التي لا بدّ أن يفكر فيها.

إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام مشحونٌ بتذكير سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت،

فيقول عليه السلام:

● «إِنَّ غَدًّا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ. مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!» [خ: ١٨٨].

١. حثيث: سريع في السير.

٢. طرداء: جمع طريد بمعنى مطرود، أي ملحق كما يطرد الصيد.

● «الْأَمْرُ قَرِيبٌ وَالْأَصْطِحَابُ قَلِيلٌ» [ق: ٦٩].

● «الرَّحِيلُ وَشَيْكٌ» [ق: ١٧٧]،

● «مَا أَقْرَبَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ!» [خ: ١١٣]،

● «وَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ، وَقَلِيلِ مَقَامِهِ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا» [خ: ٢١٤]،

● «إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارِ، وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ، فَمَا أَسْرَعَ الْمُلتَقَى» [ق: ٤٩٠]

ويحذّرنا عليه السلام ويقول:

● «فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ» [ك: ٢٧].

ويقول لابنه الحسن عليه السلام:

● «وَكَاثَكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ» [ك: ٣١].

والمتصفح لنهج البلاغة يجد كثيراً من هذه العبارات التي تذكّرنا بقرب الرحيل

وسرعته، وإليك بعضها:

● «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ» [خ: ٢٨].

● «فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتَكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأَمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوَرْدِ الْمَوْرُودِ» [خ: ٨٤].

● «فَإِنَّهَا [أي الدنيا] وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُرِيْلُ النَّاوِيَّ السَّاكِنِ، وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّ الْآمِنِ، لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَادْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلْدُ الرَّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلَا يُعْرَنُكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا» [خ: ١٠٢].

● «وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ» [خ: ١٣٣].

● «مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرٍ عَدِيٍّ!» [خ: ١٥٠].

● «وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَّ الْمَيِّتَةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً، وَكَانَتْكُمْ بِمَخَالِيهَا^٦ وَقَدْ نَشِبَتْ^٧ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ، وَمُعْضَلَاتُ^٩ الْمَحْذُورِ» [خ: ٢٠٤].

ولترسيخ هذه الفكرة في أذهاننا وقلوبنا يستعمل أمير المؤمنين عليه السلام أسلوب التشبيه، فنارة يشبه سرعة انقضاء الدنيا ببقية الماء في الإناء فيقول:

١. الناوي: المقيم.

٢. الجلد: الصلابة والجلادة.

٣. الموت أسمع داعيه: أي أن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كل حي، فلا حي إلا وهو يعلم أنه يموت.

٤. تبشير كل شيء: أول ما يبدو منه.

٥. ملاحظ المتيه: منبعث نظرها.

٦. مخاليها: المخلب للسلع بمنزلة الظفر للإنسان.

٧. نشبت: علقته.

٨. الفظيع: ما جاوز الحد الشديد.

٩. أعضل الأمر: إذا صعب وتعذر.

● «أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَدَاءً^١؛ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ^٢ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُهَا» [خ: ٤٢]،

● «أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنْتْ بِانْقِضَاءٍ... فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ^٣ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ^٤، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ^٥، لَوْ تَمَرَّزَهَا الصَّدِيَانُ^٦ لَمْ يَنْفَعِ^٧» [خ: ٥٢].

وتارة يشبهه سرعة انقضائها بالظل ويقول:

● «فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفِيءِ الظِّلِّ، يَبِينَا تَرَاهُ سَابِعًا^٨ حَتَّى قَلَصَ^٩، وَزَائِدًا حَتَّى نَقَصَ» [خ: ٦٢].

وأخرى بالمسافر فيقول:

١. الحداء: السريعة.

٢. الصبابة: بقية الماء في الإناء.

٣. السملة: البقية من الماء تبقى في الإناء.

٤. الإداوة: المطهرة.

٥. المقلة: حصاة يقتسم بها الماء القليل في السفر ليعرف قدر ما يُسقى كل واحد منهم.

٦. تمرّزها: تمصص الماء قليلاً قليلاً، والصدّيان: العطشان.

٧. لم ينفع: لم يبر.

٨. السابغ: التام.

٩. قلص: انقبض.

● «فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ^١ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَانَتْهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمْوا عَلَمًا^٢ فَكَانَتْهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي^٣ إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا!» [خ: ٩٨].

● «فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكَبٍ وَقُوفٍ، لَا يَذْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ» [خ: ١٥٧].

● «إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكَبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا» [ق: ٤٠٣].

● «وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدِرَارِكُمْ» [خ: ١٨٣].

وأخيرًا التمثيل بالليل والنهار ومجئ الشمس والقمر، إذ

● «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ: يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ» [خ: ٨٩].

● «وَإِنَّ غَايَا يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ الْأُوبَةِ^٤» [خ: ٦٣].

ويقول لابنه الإمام الحسن عليه السلام:

● «وَأَعْلَمُ، أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيلَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ

الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا^٥» [ك: ٣١].

١. قوم سفر: أي مسافرون.

٢. أموا علمًا: أي قصدوا جبلًا.

٣. المجري ويجري: من أجريت الفرس أي أرسلتها، ثم نقل ذلك الى كل من يقصد بكلامه معنى أو بفعله غرضًا.

٤. الأوبة: الرجوع.

٥. الوداع: الساكن المستريح.

ويقول عليه السلام:

● «وَأَنْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى وَشَهْرِ أَنْقَضَى» [خ: ١٩٠].

فلماذا هذه الغفلة يا إنسان؟

● و «نَفْسُ الْمَرْءِ خُطَاةٌ إِلَى أَجَلِهِ» [ق: ٦٩]،

● و «رُبُّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبُوطٌ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ» [ق: ٣٧٠]،

وليس هذا إلا من طول الأمل والاعتزاز بالدنيا، إذ:

● «لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ لَابْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ» [ق: ٣٢٥].

وهذا ما ينبهنا عليه أمير المؤمنين عليه السلام ويقول:

● «قَدْ غَابَ عَن قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْأَجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْأَمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أُمَّلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ» [خ: ١١٢].

وهذا هو سبب هلاك الماضين حيث يقول عليه السلام:

● «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغْيِبِ آجَالِهِمْ» [خ: ١٤٧].

فعلينا أن نستعدّ ونخشى حلول الموت ونحن في غفلة عنه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَعْتَةَ الْأَجَلِ»

وهذا ما نبينه في الفقرة التالية.

الاستعداد للموت

بعدما قررنا قلوبنا بالفناء، وأثبتنا لها الموت وسرعة حلوله، لا بد أن نستعد له ونأخذ حذرنا منه، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «وَأَسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ^١ ، وَكُونُوا قَوْمًا صَبِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا؛ وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَمَا بَيِّنَ أَحَدِكُمْ وَبَيِّنَ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ... وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدَمُ بِالْفَوْزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لَمْسْتَحِقُّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ نَفُوسَكُمْ غَدًا» [خ: ٦٣].

وقال لابنه الحسن عليه السلام:

● «فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ» [ك: ٣١].

فيأمر ابنه بإصلاح المثوى، ويأمر غيره بالتجهيز ويقول:

● «تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقْلُوا الْعُرْجَةَ^٢ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ» [خ: ٢٠٤].

ويقول عليه السلام:

● «فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرِ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا» [ك: ٢٧].

١. أظلكم: قرب منكم، كأنه ألقى عليهم ظله، وهذا من باب الاستعارة.

٢. العرجة: التعريج وهو الإقامة.

وقال عليه السلام في وصف أحبّ العباد إلى الله تعالى عبد:

● «أَعَدَّ الْقَرَىٰ لِيَوْمِهِ النَّازِلَ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَيَّ نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ» [خ: ٨٦].

وكثيرًا ما نرى في نهج البلاغة الأمر بمبادرة الموت والاستعداد له، ونشير فيها

يلي إلى بعضها:

● «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى... وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَرَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ» [خ: ٧٥].

● «بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَخْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ» [خ: ١٦٧].

● «فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الْأَجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ» [خ: ١٨٣].

● «وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمْرَاتِهِ، وَامْهَدُوا^٣ لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزْوِلِهِ... وَبَادِرُوا أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدْيُونُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ» [خ: ١٩٠].

● «وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ أَذْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ^٤» [ق: ١٩٣].

١. القرى: طعام الضيف.

٢. رهقه الأمر: غشيه وفاجته.

٣. امهدوا: اتخذوا مهادًا وهو الفراش، كناية عن الاستعداد له.

٤. راجع: الكامل للمبرد ١: ٢٢٣.

الاحتضار وسكرة الموت

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق: ١٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْ بَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ﴾ (القيامة: ٢٦-٣٠).

ابتداءً من الاحتضار تبدأ رحلة الإنسان الأخروية، وهي عقبة مهولة ومصيرية، إما إلى الجنة وإما إلى النار، وحقيق بالإنسان أن يستعد لها، ويطيل النظر حولها ليسلم من فزعاتها، إذ:

● «إِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرِقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا» [خ: ٢٢٠].

وقد ورد في نهج البلاغة موارد مختلفة لوصف ساعة الاحتضار، وما يحيق بالإنسان من شدائد ومصاعب، نوردها كما هي ومن دون تعليق؛ إذ إن كلام الأمير عليه السلام أبلغ في الموعظة من أي شرح وتعليق.

قال عليه السلام: في صفة أهل الغفلة:

● «دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَيِّتِ فِي عُبْرٍ جَمَاحِهِ^٢ ، وَسَنَّ مِرَاحِهِ^٣ ، فَظَلَّ سَادِرًا^٤ ، وَبَاتَ سَاهِرًا فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيْقٍ ، وَوَالِدٍ شَقِيْقٍ ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا ، وَوَالِدَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا . وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ^٦ ، وَأَنَّهُ مُوجِعَةٌ^٧ ، وَجَذْبَةٌ مُكْرِبَةٌ^٨ وَسَوْقَةٌ^٩ مُتْعِبَةٌ» [خ: ٨٢].

وقال عليه السلام:

● «فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمُ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفُوتِ ، فَفَتَرَتْ^٩ لَهَا أَطْرَافُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ . ثُمَّ أَزْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجًا ، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ ، وَإِنَّهُ لَبَيِّنٌ أَهْلُهُ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ ، وَبِقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ ، يُفَكِّرُ فِيهِمْ أَفْنَى عُمْرِهِ ، وَفِيهِمْ أَذْهَبَ دَهْرُهُ ، وَيَتَذَكَّرُ

١ . الغَبْرُ: البقية.

٢ . الجمَاح: الشره وارتكاب الهوى.

٣ . السنن: الطريقة، والمراح: شدة الفرح والنشاط.

٤ . السَّدر: المتحير.

٥ . اللدم: الضرب، والتدام النساء: ضربهنَّ صدورهنَّ في النياحة.

٦ . غمرة كارثة: أي شدة بالغة النهاية.

٧ . جذبة مكربة: أي جذب الملك الروح من الجسد.

٨ . السوقة: من سباق الروح عند الموت.

٩ . فترت: سكنت.

أَمْوَالًا جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا^١، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصْرَحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا،
 قَدْ لَرِمْتَهُ تَبَعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا،
 وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعَبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَالْمَرْءُ قَدْ غَلَقَتْ
 رُهُونُهُ^٢ بِهَا، فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ^٣ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ،
 وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنْ الَّذِي كَانَ يَعْطِبُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ
 عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ! فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ
 وَسَمِعَهُ، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ
 فِي جُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ. ثُمَّ أَرَادَ الْمَوْتُ
 التَّيَاطُّأَ بِهِ، فَقَبِضَ بَصْرَهُ كَمَا قَبِضَ سَمْعَهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ
 حَيْفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِئًا، وَلَا
 يُجِيبُ دَاعِيًا» [خ: ١٠٨].

ويصف عليه السلام الإنسان حال كونه طريح الفراش قد أيس منه أهله وأصدقاؤه:
 ● «فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا، وَتَرَكَ الْأَحِبَّةَ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ
 مِنْ غُصْبِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِدُ فِطْنَتِهِ^٥، وَبَيَّسَتْ رُطُوبَةَ لِسَانِهِ، فَكَمَ مِنْ مُهْمٍ مِنْ

١. أغمض في مطالبها: الأصل فيه غصص البصر كأنه لم ير الحرام، أي ساهل في اكتسابها.

٢. غلق الرهن: أي استحققه المرتبه وذلك إذا لم يفتكك في الوقت المشروط.

٣. أصحرو: انكشف وظهر.

٤. التياتأ: إلتصاقاً.

٥. نوافذ الفطنة: ما كان من أفكار نافذة.

جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤَلِّمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظِمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرِقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا» [خ: ٢٢٠].

● «فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِيٌّ^١ ظُلِّلِيهِ^٢، وَاحْتِدَامٌ^٣ عِلَلِيهِ^٤، وَحَنَادِسُ غَمْرَاتِهِ^٥، وَعَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَالْيَمُّ إِرْهَاقِيهِ^٥، وَدُجُوُّ أَطْبَاقِيهِ^٦، وَجُشُوبَةٌ مَدَاقِيهِ» [خ: ٢٢٩].

وقال عليه السلام أيضًا في وصف تلك الشدائد:

● «فَأَنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ^٧، وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَّا يُطْرَحُ الْحِجَابُ» [خ: ٢٠].

فعلينا التفكير في هذه الأوصاف الموحشة والاستعداد والاستعاذة بالله تعالى، فقد ورد في الدعاء: «اللهم أعني على سكرات الموت، اللهم أعني على غمرات الموت»^٨. وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي الأمان عند سكرات الموت، وعند

١. دواجي: جمع داجية وهي الظلمة.

٢. الظلل: جمع ظلة وهي السحاب.

٣. الاحتدام: الاضطرام والاشتداد.

٤. الحنادس: الظلمات، والغمرات: الشدائد.

٥. إرهاقه: إبعاله، من أرهقه إذا أعجله.

٦. الدجوى: الظلام، أطباقه: جمع طبق، والمراد تكاتف الظلمات طبقاتاً فوق طبق.

٧. الوهل: الفزع.

٨. المصباح للطوسي: ٥٦٨.

مفارقة الروح، وعند معاينة الموت»، وعلينا بالأعمال التي تخفف سكرات الموت من قبيل: الإحسان إلى الإخوان، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وترك الذنوب، وصوم أربعة وعشرين يومًا من رجب أو صوم آخر رجب، وغيرها من الأعمال المذكورة في مظانها.

٨. قاعدة «محاسبة النفس»

في المنهج العَلَوِيّ لا ينفَع السلوك من دون محاسبة النفس ومراقبتها، وقد سمّى رسول الله ﷺ ذلك بالجهد الأكبر، إذ يُعدّ جهاد النفس التخطيط الاستراتيجي لكبح العدو وسدّ الطرق أمامه، ودراسة نقاط الخلل في جبهة المواجهة، ومن دون هذا التخطيط ربّما ينهزم الإنسان في معركته مع إبليس وأعوانه.

لذا يترحم أمير المؤمنين عليه السلام على المجاهد لنفسه فيقول:

● «رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنَزَعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى. وَعَلِمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ^٢ عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا^٣ عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا» [خ: ١٧٦].

وقال أيضًا:

١. أبعد منزعًا: أي نزوعًا بمعنى الانتهاء والكفّ عن المعاصي.

٢. ظنون: متهمة.

٣. زارياً: عائباً.

● «فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَن شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مِّنْزَعًا^١، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى» [خ: ١٧٦].

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام بعض الأشخاص ومدحهم لجهادهم أنفسهم وعدم فسح المجال لها، فقال في أهل الذكر:

● «وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِنَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَعُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمْرًا بِهَا فَفَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نَهَوْا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثِقْلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعَّفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا، فَتَشَجَّوْا^٢ نَشِيْجًا، وَتَجَاوَبُوا نَحِيْبًا، يَبْعَثُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَّقَامٍ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ» [خ: ٢٢١].

وقال عليه السلام في وصف المتقين:

● «فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ» [خ: ١٩٣].

وقال عليه السلام في وصف أهل الآخرة:

● «قَدْ أَلَزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ» [خ: ٨٦].

وأمر عليه السلام مالك الأشتر بذلك أيضًا:

● «وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا^٣ عِنْدَ الْجَمَحَاتِ^٤، فَإِنَّ النَّفْسَ

١. أبعد منزعًا: أي نزوعًا بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي.

٢. نشج الباكي نشيجًا: أي غصَّ بالبكاء في حلقة من غير انتحاب.

٣. يزعها: يكفها.

٤. الجمحات: منازعة النفس إلى شهواتها ومآربها.

أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ... وَشَحَّ بِنَفْسِكَ^١ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ
بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ وَكَرِهَتْ» [ك: ٥٣].

وقال عليه السلام لبعض أصحابه:

● «وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّ عَنْ نَفْسِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ، سَمَتَ^٢
بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا، وَلِنَزْوَتِكَ^٣ عِنْدَ
الْحَفِيفَةِ^٤ وَأَقِمَّا قَامِعًا^٥» [ق: ٥٦].

وخاطب عليه السلام جميع المؤمنين والمسلمين قائلاً بصوتٍ عالٍ:

● «أَيُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ^٦ عَادَاتِهَا» [ق: ٤٩: ٣].

وقال عليه السلام:

● «امْرُؤُ الْجَمِّ نَفْسُهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا^٧، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي
اللَّهِ، وَقَادَاهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ» [خ: ٢٣٨].

١. شح بنفسك: ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل.

٢. سمت: ارتفعت.

٣. النزوة: من نزا ينزو، أي وثب.

٤. الحفيظة: الغضب.

٥. وقمه: قهره، وقمعه: رده وكسره.

٦. الضراوة: اللهج بالشيء والولوع به.

٧. زمها بزمامها: أي قادها بقيادها.

والسبب في هذا الإصرار والاهتمام بجهاد النفس، هو أنّ:

● «مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِيحًا، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرٌ» [ق: ١٩٨].

ولأنّ:

● «مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ

بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ» [خ: ١٥٧].

وإنّ الندم سيلحق من لم يجاهد نفسه:

● «وَيَنْدُمُ مَنْ أُمِكَ الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ» [ك: ٤٨].

ولم يكتب ﷺ بهذا بل حتّى خاطب معاوية ونصحه بمجاهدة النفس وترك

الهوى ومتابعة الشيطان، فكتب له:

● «فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ

أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْحَلَتْكَ شَرًّا^١، وَأَقْحَمَتْكَ^٢ غِيًّا، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكِ، وَأَوْعَرَتْ^٣ عَلَيْكَ الْمَسَالِكِ» [ك: ٣٠].

لم يكتب بالوعظ والإرشاد أمير المؤمنين ﷺ، بل طبّق هذه الوصايا على نفسه

قبل كلّ شيء وجاهد نفسه جهادًا كبيرًا، وقد قال ﷺ:

١. أوحلتك شرًّا: أي أورتتك في الوحل.

٢. أقحمتك: أدخلتك.

٣. أوعرت: أخشنت وصعبت.

- «وَأَيْمُ اللَّهِ - يَمِينًا أَسْتَشْتَبِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - لَأُرْوِضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ^١ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَفْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْذُومًا» [ك: ٤٥].
- «وَأِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَيَّ جَوَانِبِ الْمَزَلِقِ» [ك: ٤٥].

٩. قاعدة «حفظ اللسان»

يرتبط الإنسان مع الآخرين من خلال لسانه، وربما يكون اللسان أكثر الجوارح فعالية؛ لذا يلزم الاهتمام به ومراقبته أكثر من سائر الجوارح، لما يترك من نتائج إيجابية أو سلبية للفرد والمجتمع. وقد ورد الاهتمام كثيرًا - في نهج البلاغة - على مراقبة اللسان وبيان آفاته، مما يجعل حفظ اللسان من القواعد المهمة في نمط الحياة العلووية، ونقطة مهمة في الوصول إلى الحياة الطيبة الدينية.

في المنهاج العلووي لا الصمت المطبق مستحسن، ولا إرسال الكلام والإكثار فيه، بل يتعيّن حسن الكلام أو الصمت بحسب المورد، فتارةً يقول أمير المؤمنين عليه السلام:
 ● «تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ» [ق: ٣٨١].

إذ الكلام يكشف شخصية الإنسان ومدى علمه وتوازنه وانسجام أفكاره، لتقييم أفعاله أو إناطة بعض المسؤوليات له.

وتارةً أخرى يقول عليه السلام:

● «لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ» [ق: ٤٥٩].

مَّا يَعْنِي أَنَّ الْكَلَامَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مَوْزُونًا وَيُرَدُّ فِي مَوْرَدِهِ، إِذْ

● «رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلٍ» [ق: ٣٨٣].

وَفِي وَصِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْحَسَنِينَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ :

● «وَقَوْلًا بِالْحَقِّ» [ك: ٤٧].

إِذْ يَجِبُ نَصْرَةُ الْحَقِّ وَالِدِفَاعُ عَنْهُ بِكُلِّ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ وَلَا سِيَّامَا اللَّسَانَ.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ هُنَاكَ نَهْيٌ عَنِ الْإِكْتَارِ بِالْكَلَامِ وَالثَّرْتَرَةِ، إِذْ تَوْقَعُ الْإِنْسَانُ فِي

الْمَحَاذِيرِ وَالْمَتَاهَاتِ

● «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَاؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَاؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ

وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ» [ق: ٣٣٩].

إِذْ:

● «اللِّسَانُ سَبْعٌ، إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ^١» [ق: ٥٥].

كَمَا أَنَّ:

● «تَلَاْفِيكَ مَا فَرَطَ^٢ مِنْ صَمْتِكَ أَيَسَّرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ» [ك: ٣١].

١. عَقَرَ: عَضَّ .

٢. فَرَطَ: قَصَرَ .

هناك حالةٌ ربّما نُبتلى بها ولا سيّما في المجالس العلميّة أو الساجلات السياسيّة والاجتماعيّة، حيث يحاول كلّ شخصٍ الإدلاء بدلوه في الموضوع الفلاني وإن لم يكن متخصصًا، فتراه يتكلّم في الشأن السياسي والاجتماعي وحتى الاقتصادي أو الثقافي، من دون التوغّل في تلك العلوم بل بمجرد السماع من هنا أو هناك، أو لإظهار الفضل، أو لئلاّ ينسب إلى الجهل وغيرها من الأسباب.

وهنا يعلمنا أمير المؤمنين عليه السلام ويأمرنا بعدم الخوض فيما لا نعلم، فيقول:

● «ولا تقل ما لا تعلم وإن قلّ ما تعلم» [ك: ٣١].

● «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كلّ ما تعلم، فإنّ الله سبحانه قد فرض على

جوارحك كلّها فرائض يحتجّ بها عليك يوم القيامة» [ق: ٣٧٢].

● «دع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لم تكلف» [ك: ٣١].

كما ينهى عليه السلام عن الكلام المضحك ويقول:

● «إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكًا، وإن حكيت ذلك عن غيرك» [ك: ٣١].

● «وليختزن الرجل لسانه، فإنّ هذا اللسان جموحٌ بصاحبه، والله ما أرى عبدًا

يتقي نفوسه تنفعه حتى يختزن لسانه، وإنّ لسان المؤمن من وراء قلبه، وإنّ

قلب المنافق من وراء لسانه، لأنّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبره

في نفسه، فإن كان خيرًا أبداه، وإن كان شرًّا واره، وإنّ المنافق يتكلّم بما

أتى على لسانه لا يدري ماذا له، وماذا عليه، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا

يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)؛

فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ نَقِي الرَّاحَةِ مِنْ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ
وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ» [خ: ١٧٦].

وجماع القول كله وبيت القصيد:

● «إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ» [ق: ٦٦].

فعدم الإكثار في الكلام ومداومة السكوت فيما لا يعنيه وفيما لا يعرف دليل على كمال العقل، ومن هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام معجباً كثيراً ببعض أصحابه وأصدقائه لما فيه من خصالٍ جيّدةٍ منها أنّه

● «وَكَانَ أَكْثَرَ ذَهْرِهِ صَامِتًا، فَإِنْ قَالَ بَدَأَ الْقَائِلِينَ، وَنَقَعَ غَلِيلًا^٢ السَّائِلِينَ» [ق: ٢٨٠].

١٠. قاعدة «الصدقة»

لا يستغني الإنسان في حياته عن اتّخاذ الأصدقاء والإخوان، يزورهم في الله ويأنس بهم، فالصدقة من ضروريّات الحياة، والعاجز من ليس له صديق

● «أَعَجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعَجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ» [ق: ٨].

والأفضل في الصدقة أن تكون لله وفي الله تعالى، قال عليه السلام:

● «وَوَقَّرِ اللَّهُ وَأَحْبَبَ أَحِبَّاءَهُ» [ك: ٦٩].

١. بدهم: سبقهم وغلبهم.

٢. نقع الغليل: أزال العطش.

ولكن حسن الصداقة واتخاذ الإخوان لها شروط، إذ هناك أصناف من الناس لا ينبغي مصادقتهم والتردد إليهم، قد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام بعض تلك الأصناف فقال عليه السلام:

- «لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ» [ك: ٣١].
- «وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ، وَيُنْكِرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ» [ك: ٦٩].
- «وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ» [ك: ٦٩].

وفي وصيته عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام:

- «يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرُّكَ. وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ. وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ. وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ» [ك: ٣١].

وقال عليه السلام:

- «لَا تَصْحَبِ الْمَائِقِ فَإِنَّهُ يُزِينُ لَكَ فِعْلَهُ، وَيَبُودُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ» [ق: ٢٨٤].
- وعلى عكس هذه الطبقة فهناك صنف من الناس يلزم مصادقتهم وعدم مفارقتهم، وبهذا أوصى أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر فقال له:
- «وَالصَّقِّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ» [ك: ٥٣].

واعلم أن هناك آداباً للصداقة لا بد أن يراعيها الإنسان في نمط حياته كي يؤدي

حقّ الصديق ولا يخسره، والآداب هذه متنوّعة منها ما يخصّ تحمّل أذى الصديق، ومنها يتعلّق بطريقة التعامل معه، وأخرى عن الاقتصاد في الصدقة.

قال عليه السلام في وصيّة لابنه الإمام الحسن عليه السلام :

● «إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ^١ عَلَى الصَّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ^٢ عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَدْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُدْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ، لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضَنَّ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَمْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْعَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَدَّ مَعَبَةً^٣، وَلِيَنَّ لِمَنْ غَالَطَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَنَّ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ، وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بِقِيَّةٍ يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ، وَلَا يَكُنْ أَهْلَكَ أَشَقَى الخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْتَعِبَنَّ فِيْمَنْ زَهَدَ فِيكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الإِحْسَانِ» [ك: ٣١].

١. صرمه: قطيعته.

٢. الصدود: الهجر والامتناع.

٣. المعبّة: العاقبة.

وقال عليه السلام:

- «لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته ووفاته» [ق: ٥٦١].

وقال عليه السلام في الاقتصاد في الصداقة:

- «أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» [ق: ٢٥٩].

- «أصدقاؤك ثلاثة، وأعداؤك ثلاثة: فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك. وأعداؤك: عدوك، وعدو صديقك، وصديق عدوك» [ق: ٢٨٦].

وبخصوص الارتياح مع الإخوان وعدم التكلف لهم، قال عليه السلام:

- «شر الإخوان من تكلف له» [ق: ٤٦٧].

- «إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه» [ق: ٤٦٨].

وأخيراً يشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى لزوم أن تكون الصداقة والمحبة من كلا الجانبين، فالإنسان لا بد أن لا يتوقف عن قبول صداقة من يريد أن يصادقه، وكما لا ينبغي له أن يصادق من يزهد فيه، قال عليه السلام:

- «زهدك في راعب فيك نقصان حظ، ورعبتك في زاهد فيك ذل نفس» [ق: ٤٣٩].

١١. قاعدة «الإحسان إلى الآخرين»

إنَّ الإنسان لا بدُّ له من الاجتماع، وقد قال الحكماء منذ القديم أنَّ الإنسان مدني بالطبع، ولا يمكنه أن يعيش لوحده، والاجتماع هذا يعني التماس والاحتكاك بالآخرين، وهو بحاجة إلى تقنين وأن تتقوَّب العلاقات في قوالب صحيحة كي يكون منتجًا.

فطريقة التعامل مع الآخرين من أهمِّ الأمور التي تدرس في الاجتماع؛ لذا عندما نراجع المنظومة العلوِّيَّة، ونمط الحياة التي يقدِّمها أمير المؤمنين عليه السلام للفرد والمجتمع، نرى أنَّه يؤكِّد على مفهوم الإحسان والتواصل الإيجابي مع الآخر، وفي نصِّ ذهبيِّ يقسِّم أمير المؤمنين عليه السلام الناس في المجتمع الإسلامي إلى صنفين: إذ يقول:

● «فَانَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَحَ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الخَلْقِ» [ك: ٥٣].

والنقطة المحوريَّة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في التعامل مع الآخرين هو إصلاح

ذات البين والإحسان إلى الناس، قال عليه السلام:

● «أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» [خ: ١٦]،

وكان من وصيَّته عليه السلام للحسنين عليه السلام وجميع الموالين:

● «أَوْصِيكُمْ - وَجَمِيعَ وَوَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي - بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ،

وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدُّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ:

(صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ) [ك: ٤٧].

كما أوصى ﷺ بالأيتام والجيران والإحسان إليهم:

● «اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ، فَلَا تُعْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةٌ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُورِثُهُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ.

وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا تُخْلُوهُ مَا بَقِيْتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكَ لَمْ تُنَاطَرُوا^٢. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَادُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّذَابُرِ وَالتَّقَاطُعِ» [ك: ٤٧].

وقال ﷺ لكميل بن زياد النخعي:

● «يَا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا^٣ فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُدَلِّجُوا^٤ فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي أَنْجِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرُدُ غَرِيْبَةُ الْإِبِلِ» [ق: ٢٤٨].

وله ﷺ أيضًا:

١. اغتَب القوم: جاءهم يومًا وترك يومًا، أي صلوا أفواههم بالطعام ولا تقطعوه عنهم.

٢. لم تناظروا: لم ينظر إليكم بالكرامة والرحمة.

٣. الرواح: السير من بعد الظهر.

٤. الإدلاج: السير من أول الليل.

● «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِثُّكُمْ مَعَهَا بَكُوا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عَشِثُمْ حَنُوا إِلَيْكُمْ» [ق: ٦].

ولا يحصل هذا إلا بالإحسان إلى الناس، ومساعدتهم في حوائجهم.

كما أوصى الأغنياء بالإحسان إلى الآخرين وقال:

● «فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضَّيَافَةَ، وَلْيُفِكَ بِهِ الْأَسِيرَ

وَالْعَانِي، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ^١، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ

الثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرَكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ، إِنْ

شَاءَ اللَّهُ» [خ: ١٤٢].

ولم يكتب عليه السلام بهذا بل يأمر العمال والأمرء بالإحسان إلى الناس أيضًا، فقد كتب

للأشتر لما ولّاه مصر:

● «أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى

مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ

عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْحَضَ^٢ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ» [ك:

.٥٣].

وكتب إلى ابن عباس حينما ولّاه البصرة:

● «سِعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ» [ك: ٧٦].

١. الغارم: من عليه الديون.

٢. أذحض: أبطل.

١٢. قاعدة «الرضا والسخط»

لا يخلو الإنسان في تعامله مع الآخرين، وفي اتِّخاذ الموقف منهم من الرضا أو السخط بأعمالهم، فربما يرى ظلمًا أو يقرأ في التاريخ حكايات الظلمة، فيسخط عليهم ويتبرأ من أفعالهم، وعلى العكس ربّما يرى عملاً صالحًا، أو يقرأ في التاريخ أعمال الصالحاء، فيرضى لفعالهم ويترحم عليهم، وربّما يتحسّر أن لم يكن معهم ليشاركهم في تلك الأعمال الحسنة.

وهذه الحالة مصاحبةٌ للإنسان طول حياته، سواء لما يدور حوله الآن أو لما دار سابقًا، ومن المهمّ هنا أن يكون ولاؤه وبراءه وفق الموازين الصحيحة؛ لأنّ هذه المواقف تصنّفه وتجعله ضمن هذا الفريق أو ذلك. وهذا التصنيف تصنيفٌ معنويٌّ يعتمد على النيّة والاتّجاه القلبي لا على الموقف الظاهري.

وعندما نراجع المنظومة العلوّية، ونمط الحياة التي يقدمها أمير المؤمنين عليه السلام نراه ينظر ويؤصّل لهذه القاعدة، إذ يقول عليه السلام بكلّ وضوح:

● «إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَى وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخُوَارَةِ» [خ: ٢٠١].

● «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النَّبِيِّ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ» [ق: ٣٨].

وتأكيداً لهذا المبدأ أيضاً:

● «الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانٍ: إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ، وَإِثْمُ الرِّضَا بِهِ» [ق: ١٤٤].

وقال لبعض أصحابه لما تمنى أن يكون أخوه شاهداً انتصار الإمام عليه السلام على أصحاب الجمل:

● «أَهْوَى أَحْيِكَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدْنَا، وَلَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَّرَعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ» [خ: ١٢].

وقال عليه السلام في أصحاب الجمل وجواز قتالهم له:

● «قَوْلَ اللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ^٢ لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ» [خ: ١٧٣].

وأخيراً قال عليه السلام:

● «إِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَقِّ رَسُولِهِ

١. يعرف بهم الزمان: يواجههم ويخرجهم، كما يعرف الإنسان بالدم الذي يخرج منه من أنفه.

٢. معتمدين: قاصدين.

وَأَهْلٍ بَيْنَهُ مَاتَ شَهِيدًا، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النَّبِيُّ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ^١ لِسَيِّفِهِ» [خ: ١٩٠].

وعليه فإنّ هذا الموضوع خطير جدًّا، ولا بدّ أن يراقب الإنسان نفسه وهواه، ليرى أين يضع ميوله واتّجاهاته القلبية، ولا سيّما في زماننا هذا الذي كثرت فيه الفتن والأحزاب والتيّارات المختلفة، فربّ موقف خاطئ يسبّب هلاكه وإن لم يشارك بجسده، وربّما موقف صحيح يدخله في ثواب ذلك العمل وإن لم يكن له دور في إنجازه.

١٣. قاعدة «الفرح والحزن»

لا ينفكّ الإنسان في حياة الدنيا من أمورٍ تفرحه وأمورٍ تحزنه سواء أكانت مادّيّة أم معنويّة، ومع قطع النظر عن تفسير الفرح والحزن وتعريفهما، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يغفل عن هذا الجانب، وهو كعادته في ربط جميع الأمور بالله تعالى وعالم الآخرة، يحاول أن يؤطّر الفرح والحزن بإطارٍ خاصّ يساعد الإنسان على تحطّي ما ربّما يزعجه خطأ مدعاة للفرح أو الحزن من الأمور والحوادث الدنيويّة.

فنمط الحياة العلوّيّة تقتضي ربط ما يوجب السرور والحزن بالآخرة؛ لذا نراه

يقول عليه السلام:

● «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فُوتُ مَا لَمْ يَكُنْ

١. الإصلاّت: مصدر أصلت أي سلّ.

لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرْحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» [ك: ٢٢].

● «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُفَوِّتَهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوعٌ لَذَّةٌ أَوْ شِفَاءٌ غَيْظٍ، وَلَكِنْ إِطْفَاءٌ بِاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءٌ حَقٌّ. وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسْفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» [ك: ٦٦].

١٤. قاعدة «الميزان»

كيف نتعامل مع الآخرين؟ وعند تعارض مصلحة النفس ومصلحة الآخر أيهما يقدم؟ سؤال محوري مبتلى به في التعامل الاجتماعي والعلاقة مع الآخرين. والإجابة عليه تتبع المنظومة الفكرية والمباني المعتمدة، فالفردية والذاتوية الغربية لا تفكر سوى مصلحة الفرد وملاذه، أما المنظومة العلوية فتعتمد على أصل وقانون وحدة الروح والنفس البشرية التي جاءت من منبع واحد ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر: ٢٩). وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١). فالبشرية كلها رغم اختلاف أشكالها وألوانها ولغاتها تعدد روحًا ونفسًا واحدةً وكأنها شخص واحد؛ ولذا ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢). فالاستثناء الوحيد

هو حالة القصاص أو الفساد في الأرض المخرجان من الروح الواحدة. وعطفاً على هذا، فإن نمط الحياة العلوية تدعو الإنسان إلى أن يعيش مع الآخرين بهذا الاتجاه وهذه الرؤية؛ لذا يقول في وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحِبِّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَأَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمَ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَفِيحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَفِيحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ» [ك: ٣١].

وقال عليه السلام في كتابه إلى الحارث الهمداني عليه السلام:

● «وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُمْرَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَدَرَ مِنْهُ» [ك: ٦٩].

وقال عليه السلام:

● «وَكَفَى أَدْبًا لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ» [ق: ٣٥٥ ونحوه ق ٤٠١].

١٥. قاعدة «العضاف والكفاف»

الفردانية الغربية المتمركزة حول الذات، والانتهاك في إرضاء رغائبها المادية، انعمست في الحياة الاستهلاكية والموضة تلبية لرغبات النفس، وكلما نهلت عن هذا المنهل الوبيّ ازدادت عطشاً، إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

● «الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصَبِّ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا،

وَلَهَجًا بِهَا، وَكُنْ يَسْتَعْنِي صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا» [ك: ٤٩].

ومن هذا المنطلق وجهت نمط الحياة العلوّية الناس إلى عدم الحرص على ملاذ الدنيا وعدم اللهث وراءها، وأمرتهم التحلّي بالعفاف والكفاف، قال عليه السلام:
 ● «لا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ» [ك: ٤٥].

وكان يقول عليه السلام:

● «الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ» [ق: ٦٣].

● «الْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ» [ك: ٣١].

كما كان يوصي عليه السلام بالقناعة لكبح جماح النفس فإنّها الغنى الحقيقي:

● «وَلَا كَنْزٌ أَعْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ، وَلَا مَالٌ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوْتِ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةَ^٢، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ^٣، وَالرَّغْبَةَ مِفْتَاحُ النَّصَبِ، وَمَطِيئَةُ التَّعَبِ» [ق: ٣٦٠].

ربّما انشغل الإنسان بهمّ الرزق أو التفكّر في كيفية ازدياد ثرواته الماديّة، فتراه مهتمّاً بهذا الشأن، ومغموماً لعدم الوصول إلى مبتغاه، ولا سيّما إذا خالط الأغنياء فيزاد همّه وآذاه لما يرى من الوفرة التي يتمتع بها الآخرون، فحالته حال قوم موسى عليه السلام لما رأوا قارون: ﴿فَفَرَجَ عَلَيَّ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا

١. البلاغ والبلغة من العيش: ما يتلّغ به.

٢. انتظم الراحة: أي ظفر بالراحة.

٣. تبوأ: أنزل، والدعة: السعة.

لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَكُوْهُ حَظٌّ عَظِيمٌ ﴿القصص: ٧٩﴾.

وهنا يأتي دور نمط الحياة العلوية في التوصية بالقناعة والاكتفاء بما رزقه الله تعالى، قال ﷺ:

● «يَابْنَ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمْرِكَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ» [ق: ٢٥٨].

● «اعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ - وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَاشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، وَقَوِيَّتْ مَكِيدَتُهُ - أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ حِيلَتِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ، وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضْرَقَةٍ. وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٍ بِالنُّعْمَى، وَرُبَّ مُبْتَلَى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبُلُوَى، فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ» [ق: ٢٦٤].

● «إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ. وَرُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرِّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ، وَالْأَمَانِيُّ تُعْمَى أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ» [ق: ٢٦٦].

● «وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ» [ق: ٣٣٩].

● «الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ، فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ، كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ

تَعَالَى سَيُّؤُتَيْكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمْرِكَ
فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ لِمَا لَيْسَ لَكَ، وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ
غَالِبٌ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ» [ق: ٣٦٩].

١٦. قاعدة «كما تدين تدان»

تصدر كثيرٌ من الأعمال من الإنسان من دون أن يفكر في عواقبها على نفسه وعلى
ذريته، ومن دون الالتفات إلى آثار هذه الأعمال في الدنيا والآخرة، إذ هناك تأثيرٌ
وتأثرٌ متبادلٌ بين العمل وبين ما يحدث من مصاعب وابتلاءات أو نعم ومحاسن،
قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠).

وقال تعالى في الذين فرّوا من الحرب إن فرارهم هذا كان نتيجة للذنوب والأعمال
التي ارتكبوها سابقًا، حيث أثرت على موقفهم الحالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ
التَّنْفِي الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ (آل عمران: ١٥٥).

فلو انتبه الإنسان إلى هذه القاعدة، وفكر في تأثير أعماله على مستقبله الدنيوي
والآخروي، لراقب نفسه أكثر؛ إذ هناك ارتباط وثيق كما قلنا بين الأعمال وبين
الحوادث الخارجيّة، فالحوادث الكونيّة تتبع الأعمال بعض التبعية، فالطاعة تستلزم
نزول الخيرات، والمعصية توجب ظهور الفساد في البرّ والبحر.

وهذا الصدد يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله: «إنّ عمل الإنسان سواء كان خيرًا
أو شرًّا ربًّا عاد إليه في ذريته وأعقابه، فالنعمة أو المعصية ربًّا تحلّلان بالإنسان بما
كسبت يدا شخصه أو أيدي آباءه، فما يعامل به الإنسان غيره أو ذريّة غيره، فلا

محيص من أن ينعكس إلى نفسه أو ينقلب إلى ذريته إلا أن يشاء الله» [تفسير الميزان ٢٠٢ - ٢٠٣].

ومن هذا المنطلق وتأكيداً على هذه القاعدة يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

● «كَمَا تُدِينُ تَدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ» [خ: ١٥٣].

١٧. قاعدة «أخذ العبرة»

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ (العنكبوت: ٢٠). وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (غافر: ٨٢).

لقد طبّق أمير المؤمنين عليه السلام وصية القرآن في حياته الشخصية، وقلّب آثار الماضين لأخذ العبرة منهم، وفتح طريق الحال والمستقبل، فكتب إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام:
 ● «أَيُّ بُنْيٍّ، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمَرَمَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسَرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمَرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ، وَنَفَعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ» [ك: ٣١].

فالإنسان البصير يتّعتظ ويعتبر من جميع الأشياء، إذ العبرة موجودةٌ حواليه ومنتشرةٌ في جميع الأمور والأشياء:

● «لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ الْعِبْرُ» [خ: ٢٠].

ولكن المعتبر قليل:

● «مَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقَلَّ الْأَعْتِبَارَ» [ق: ٢٨٨].

والسبب في التأكيد على الاعتبار وأخذ العبرة، أنها تضيف معرفة إلى معارف الإنسان وتبصره، فتكون رافداً معرفياً إضافياً، قال عليه السلام:

● «مَنْ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَّ، وَمَنْ فَهَمَ عَلِمَ» [ق: ١٩٨].

كما أن العبرة تمنع المتقي من الوقوع في الشبهات قال عليه السلام:

● «ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ: إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ^١ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ^٢، حَجَزَهُ التَّقْوَى عَنِ تَفْحَمِ الشُّبُهَاتِ» [خ: ١٦].

ولذا نراه عليه السلام دائم التذكير بأخذ العبرة ويقول:

● «فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعَبْرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ» [خ: ٨٤].

● «وَحَلَفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ، وَمُسْتَنْفَسِ حَنَاقِهِمْ^٣. أَرْهَقْتَهُمُ الْمَنَايَا^٤ دُونَ الْأَمَالِ، وَشَدَّ بِهِمْ^٥ عَنْهَا تَحْرُمُ^٦ الْأَجَالَ، لَمْ

١. صرحت: كشفت.

٢. المثالات: العقوبات.

٣. الخلاق: النصيب، والمستفسح: المتسع، والخناق: حبل يُحْنَقُ به، والمعنى: حلف لكم عبراً من القرون السالفة، منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم، ومنها فسحة حناقهم وطول آمالهم، ثم كانت عاقبتهم الهلكة.

٤. رهقه: غشيه، والمنية: الموت.

٥. شدَّ بهم عنها: قطعهم وقرقهم.

٦. التخرم: الاستئصال.

يَمَّهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ^١ [خ: ٨٢].

● «فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ^٢، وَاتَّعْظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ^٣، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ^٤» [خ: ١٩٢].

١٨. قاعدة «الابتلاء»

لن نخلو الحياة من الابتلاء، وهذا قانون عام واختيار إلهي: ﴿أَحْسِبْ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيْمَانًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢)، والمطلوب من الإنسان أن ينتبه إلى هذه الحقيقة أولاً، ثم البحث عن أسباب الابتلاء وفوائده وطرائق التعامل معه ليرسم نمطاً للحياة تعينه عند الشدائد ثانياً.

إن أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد في موارد كثيرة من خطبه وكتبه على قانون الابتلاء والاختبار، ويذكر أن الدنيا مقدرة منذ القدم على هذا القانون، فإنه عليه السلام بعد ما يذكر هبوط آدم عليه السلام من الجنة يقول:

● «فَأَهْبَطُهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وَتَنَاسَلِ الذَّرِّيَّةُ» [خ: ١].

حيث يشير إلى أن الدنيا محفوفة بالبلاء من الأول.

وهذا المفهوم يكرره أمير المؤمنين عليه السلام ويؤكدده ويقول بعد ما يوصي بالتقوى في الدنيا:

١. أنف الأوان: أوله.

٢. المثلات: العقوبات.

٣. مئاوي: جمع مئوى وهو المنزل، ومنازل الخدود: مواضعها من الأرض بعد الموت.

٤. مصارع جنوبهم: مطارحها على التراب.

● «فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ^١ ، وَدَارِ عِبْرَةٍ^٢ ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا ، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا» [خ: ٨٢].

كما أنه ﷺ لترسيخ هذا المفهوم يستشهد بالقرآن أيضًا ويقول:

● «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَادَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ (المؤمنون: ٣٠) [خ: ١٠٢].»

● «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (انفال: ٢٨)، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّخِطَ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ...» [ق: ٨٨].

ثم إنه ﷺ استفاد من هذا المفهوم لموعظة الإنسان، وإيقاظهم من نوم الغفلة وعدم الركون إلى الدنيا، فهو ﷺ يصف الدنيا باشتغالها على أنواع البلايا ليزهد الناس فيها ويقول ﷺ:

● «دَارٌ بِالْبُلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْعَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نَزْلُهَا. أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ^٣، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ^٤، تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا» [خ: ٢٢٥].

● «لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا

١. قرار خبرة: أي دار بلاء واختبار.

٢. تارات: مرّات، ومتصرفة: متحوّلة.

إِلَّا مَنَحْتَهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا^١، وَلَمْ تَطَّلُهُ فِيهَا دِيمَةً^٢ رَخَاءٍ إِلَّا هَتَنْتَ^٣ عَلَيْهِ مُرْتَهُ بِلَاءٍ!» [خ: ١١٠]،

● «إِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَمَطَّرْ عَلَيْهِ مِنْ الرِّخَاءِ قَلِيلًا إِلَّا وَهَتَنْتَ أَيَّ مَطَرٍ عَلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ كَثِيرًا».

● «إِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ...» [ك: ٣١].

حيث يشير عليه السلام إلى التقدير الإلهي باحتواء الدنيا على أنواع البلاء.

وقال عليه السلام أيضًا:

● «وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ بَلِيَّةٌ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا قَطُّ فِيهَا سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعَتْهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [ك: ٥٩].

وقال عليه السلام في كتابه معاوية:

● «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرُنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا» [ك: ٥٥].

وأخيرًا فإن الدنيا نفسها تحذر من نفسها، يقول عليه السلام:

● «وَلَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالتَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغْرُوكَ» [خ: ٢٢٢].

١. أي لم يلق بطنًا من سرور الدنيا وفرحها، إلا منحتة وأعطته ظهرًا من ضرائها.

٢. طله السحاب: إذا أمطره مطرًا قليلًا. الديمة: مطر ليس فيه رعد وبرق وأقله ثلث النهار أو الليل.

٣. هتنت: مطرت كثيرًا.

حكمة الابتلاء

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الملك: ٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ (محمد: ٣١).

وقال تعالى عن لسان صاحب سليمان عليه السلام بعد ما نقل عرش بلقيس قبل أن يرتد الطرف: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل: ٤٠).

فهذه الآيات تدلّ بوضوح أنّ مسألة الابتلاء لم تكن جزافاً وعبثاً، بل تبتني على حكمة ربانية، كما وردت الإشارة إلى جملة منها في الآيات القرآنية.

وعندما نراجع نهج البلاغة، نرى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يذكر مجموعة من الحكم الكامنة وراء مسألة الابتلاء، منها مسألة الإثابة واستحقاق الأجر والمنزلة عند الله، حيث لا تأتي المثوبة اعتباطاً بل استحقاقاً، قال عليه السلام:

● «أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ^١ كَشْفَةً، لَا أَنَّهُ جَهْلَ مَا أَخْفَوهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ، وَمَكْنُونٍ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً»^٢ [خ: ١٤٤].

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧) وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ

١. كشف الخلق: علم حالهم.

٢. بواء: مكافأة وجزاء.

كريم ﴿﴾ (الحديد: ١١)، قال ﷺ :

● «فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلِّ، وَلَمْ يَسْتَفْرِضْكُمْ مِنْ قُلِّ، [بل] اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَفْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» [خ: ١٨٣].

وقال ﷺ في حكمة كون الأنبياء أهل مسكنة وفقر مادي:

● «وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِيقَانِ، وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَّا وَجَبَ لِلْقَائِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَرِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِهِمْ، وَضَعْفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ فَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى، وَخَصَاصَةً تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أذى. وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عَقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنَ الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النَّبِيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُفْتَسِمَةً. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتْبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالنَّخْشُوعُ لِرُوحِهِ، وَالِاسْتِئْكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ، لَا تَشْوِبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكَلَّمَهَا كَانَتِ الْبُلُوى وَالِإِحْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمُتَّوْبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ».

ثم يستمر عليه السلام ويذكر الحج وصعوبته ويقول:

● «إِبْتِلَاءٌ عَظِيمًا، وَامْتِحَانًا شَدِيدًا، وَاخْتِبَارًا مُبِينًا، وَتَمْحِصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَوَسْطَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْنَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ^١، جَمًّا^٢ الْأَشْجَارِ، دَانِي الثَّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى^٣، مُتَّصِلِ الْفُرَى، بَيْنَ بَرَّةٍ^٤ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ^٥ مُغْدَقَةٍ، وَعَرَاصٍ^٦ مُغْدَقَةٍ، وَزُرُوعٍ نَاصِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ» [خ: ١٩٢].

● «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» [ك: ٥٥].

ومنها دفع الكبر عن القلوب، قال عليه السلام:

● «وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَنْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمَيِّزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ» [خ: ١٩٢].

● «وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِاللَّوَانِ الْمَجَاهِدِ،

١. السهل: نقيض الجبل، والقرار: المستقر من الأرض.

٢. الجم: الكثير.

٣. ملتف البنى: مشتبك العبارة.

٤. البرة: الخنطة.

٥. أرياف: جمع ريف، وهو كل أرض بها خصب.

٦. عراص: جمع عرصة. ومغدقة: كثيرة الماء والنبت.

وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْثِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّنَذُلِ فِي نَفْسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ» [خ: ١٩٢].

ومنها التوبة والرجوع إلى الله تعالى، قال عليه السلام:

● «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزِدَّ جِرْمُودًا» [خ: ١٤٣].

ومنها الرضا بقضاء الله تعالى، قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: ٢٨).

● «وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاحِطَ لِرِزْقِهِ وَالرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَتَّظَهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ» [ق: ٨٨].

ومنها الانتفاع بالموعظة، قال عليه السلام:

● «وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ» [خ: ١٧٦].

ب. القواعد المنجية

لقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في طيّات خطبه ومراسلاته إلى موارد كثيرة يمكن ضمها تحت عنوان القواعد المنجية حيث إنّ العمل بها يوجب النجاة في الدنيا والفوز في الآخرة، وإليك أهمّ تلك الموارد:

١. قاعدة «الإخلاص»

قال الإمام عليه السلام:

- «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ...» [خ: ٤١].
- «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى... قَدَّمَ خَالِصًا، وَعَمِلَ صَالِحًا» [خ: ٧٥].

قال عليه السلام: في وصف المتقي:

- «قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ» [خ: ٨٦].
- «وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِنْ رَجَاهُ مُوقِنًا... وَأَخْلَصَ لَهُ مُوحِّدًا» [خ: ١٨٢].

● «وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالخُشُوعُ لَوَجْهِهِ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ» [خ: ١٩٢].

كتب عليه السلام إلى بعض عماله:

● «أَمْرُهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَيْ غَيْرِهِ فِيمَا أَسْرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، وَفَعَلَهُ وَمَقَالَتَهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ» [ك: ٢٦].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ» [ك: ٣١].

وفي عهده عليه السلام لملك الأشر:

● «وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ لِلَّهِ بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ^١ وَلَا مَنْقُوصٍ، بِالْعَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ» [ك: ٥٣].

● «فَرَضَ اللَّهُ... الصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ» [ق: ٢٤٣].

ومن دعائه عليه السلام:

● «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَحْسَنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي، وَتَتَّبِحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سِرِّيَّتِي، مُحَافِظًا عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي،

١. غير مثلوم: غير مخدوش.

فَأُبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَأَفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ،
وَتَبَاعُودًا مِنْ مَرَضَاتِكَ^١ «[ق: ٢٦٧].

قال عليه السلام: في وصف المؤمن:
● «وَيَشْتَأُ السُّمْعَةَ» [ق: ٣٢٤].

٢. قاعدة «الاستعانة بالله»

قال عليه السلام:

- «وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَبُلُّ^٢ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا حُزِنَ» [خ: ٢].
- «وَأَسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى آدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ» [خ: ٩٨].
- «وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ» [خ: ٩٩].
- «وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أَمَرَتْ بِهِ، السَّرَّاعِ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ» [خ: ١١٣].
- «وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ^٣، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ» [خ: ١٨٢].

١. العقد الفريد ٣: ٢٢٢.

٢. لا يبتل: لا ينجو.

٣. الطول: الفضل.

● «وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ وَظَائِفِ حُقُوقِهِ» [خ: ١٩٠].

● «وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا... فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ^٢، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أَغْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ» [خ: ١٩٥].

● «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ^٣، وَبِهِ نَسْتَعِينُ» [خ: ٢٢٣].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «وَأَلْجِئُ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَىٰ إِلَهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَىٰ كَهْفِ حَرِيرٍ، وَمَانِعِ عَزِيرٍ» [ك: ٣١].

وفي كتاب عليه السلام لمحمد بن أبي بكر:

● «وَأَكْثِرِ الْأَسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنِكَ عَلَىٰ مَا يُنْزِلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ» [ك: ٣٤].

وفي كتابه إلى بعض عماله:

● «فَاسْتَعِنُ بِاللَّهِ عَلَىٰ مَا أَهَمَّكَ» [ك: ٤٦].

١. الوظائف: جمع الوظيفة، وهي هنا الواجبات.

٢. استمنحوه: اطلبوا منه المنحة.

٣. سبات العقل: نومه، والزلل: السقوط في الخطأ.

وفي عهده عليه السلام لملك الأشتر:

● «وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلَزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ» [ك: ٥٣].

٣. قاعدة «الاستغفار»

قال عليه السلام:

● «جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْاسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ، فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ * يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿نوح: ١٠ - ١١﴾، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ! [خ: ١٤٣].

قال عليه السلام في وصف أولياء الله:

● «وَتَقَشَّعَتْ^١ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ» [ك: ٤٥].

● «عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الْاسْتِغْفَارُ» [ق: ٨٢].

● «كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَذُنُوبُكُمْ الْآخَرَ فَمَسَّكُمْ بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَلَا اسْتِغْفَارَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)» [ق: ٨٣].

● «مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا: ... مَنْ أُعْطِيَ الْاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ...»

١. تقشّعت: انحلت وذهبت.

وتصديق ذلك في كتاب الله... وَقَالَ فِي الْاِسْتِغْفَارِ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ١١٠) [ق: ١٢٨].

قال عليه السلام لقائل قال بحضرة: ته:

● «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ: تُكَلِّتُكَ أُمَّكَ، أَتَدْرِي مَا الْاِسْتِغْفَارُ؟ إِنَّ الْاِسْتِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ:

أَوَّلُهَا: النَّدْمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعُودِ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَالثَّلَاثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبَعَةٌ، وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى الشَّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ، حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمُعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» [ق: ٤٠٥].

٤. قاعدة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»

قال عليه السلام:

● «وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي!» [خ: ١٠٤].

● «ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرٍ مُعَيَّرٍ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ... لَعَنَ اللَّهُ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالتَّاهِبِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ» [خ: ١٢٩].

● «إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ،

- وَأَنَّهُمَا لَا يُعْرَبَانِ مِنْ أَجْلِ، وَلَا يُنْقَصَانِ مِنْ رِزْقٍ» [خ: ١٥٦].
- «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْتِكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسِقُّكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنَهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتْنَاهِي قَبْلَكُمْ عَنْهَا» [خ: ١٧٥].
 - «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِيَتْرَكِيَهُمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِيَتْرَكَ التَّنَاهِي!» [خ: ١٩٢].

قال عليه السلام في وصف الذاكرين:

- «يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتِمُرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ» [خ: ٢٢١].
- وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:
- «وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنِ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ» [ك: ٣١].

وفي وصيته عليه السلام:

- «لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلِّيَ عَلَيْكُمْ أَشْرَارَكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» [ك: ٤٧].

قال عليه السلام:

- «فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْمُتَنَافِقِينَ» [ق: ٢٧].

قال عليه السلام في وصف المغترّ بالدنيا:

- «يُنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي» [ق: ١٤٠].
- «فَرَضَ اللَّهُ... الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدًّا عَنِ السُّفْهَاءِ» [ق: ٢٤٣].
- «أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَانًا يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَرَبَّى، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسِّنْفِ لِيَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ السُّفْلَى، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ» [ق: ٣٦٣].
- «فَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخِصَلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خِصْلَةً، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ الَّذِي صَبَّحَ أَشْرَفَ الْخِصَلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذَلِكَ مَيْتُ الْأَحْيَاءِ، وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِلَّا كَنْفَثَةٌ^١ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ، وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقْرَبَانِ مِنْ أَجْلِ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقِ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلِ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ» [ق: ٣٦٤].

١ . النفث: إلقاء ما في الفم والرمي به .

٥. قاعدة «الإنفاق»

قال ﷺ في ذم البخلاء:

- «فَلَا أَمْوَالٌ بَدَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسٌ خَاطَرْتُمْ^١ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا» [خ: ١١٦].
- «فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيُفِكَ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْعَارِمَ^٢، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَابِغِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزًا بِهِذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرَكٌ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ» [خ: ١٤٢].

- «وَأَنْفِقُوا أَمْوَالِكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ تَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا اللَّهَ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (حديد: ١١)، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَفْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، [بَل] اسْتَنْصِرْكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَفْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» [خ: ١٨٣].

وفي وصيته للإمام الحسن ﷺ:

- «وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُؤَافِيكَ بِهِ

١. خاطرتم: من المخاطرة، وهي ارتكاب ما فيه خطر وهلاك.

٢. الغارم: من عليه الديون.

غَدَا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَاعْتَمِمْهُ وَحَمَلْهُ إِلَيْهِ، وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاعْتَمِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ» [ك: ٣١].

- «لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّ الْجِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ» [ق: ٦٢].
- «طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ... أَنْفَقَ الْفُضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفُضْلَ مِنْ لِسَانِهِ» [ق: ١١٦].
- «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَنَعَ بِهِ غَنِي، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ» [ق: ٣١٩].

٦. قاعدة «التقوى»

قال عليه السلام:

- «إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ^١، حَجَزَهُ التَّقْوَى عَنْ تَفَحُّمِ الشُّبُهَاتِ» [خ: ١٦].
- «أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٍّ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَرْزَاقَ مَتَّهَا، فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ» [خ: ١٦].
- «لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخٌ أَصْلٍ» [خ: ١٦].

١. صرحت: كشفت.

٢. المثلات: العقوبات.

٣. السنخ من كل شيء أصله، وفي لسان العرب: وفي حديث علي عليه السلام: «ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل» والسنخ والأصل واحد، فلما اختلف اللفظان أضاف أحدهما على الآخر.

قال عليه السلام في الجهاد:

● «وَهُوَ لِبَاسِ التَّقْوَى» [خ: ٢٧].

● «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى... جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةً وَفَاتِهِ» [خ: ٧٥].

● «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ، وَوَقَّتْ لَكُمْ الْأَجَالَ، وَالْبَسْكُمْ الرِّيشَ^١، وَأَرْفَعْ^٢ لَكُمْ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطْ بِكُمْ الْإِحْصَاءَ^٣، وَأَرُصِدْ^٤ لَكُمْ الْجَزَاءَ، وَأَثِرْكُمْ بِالنَّعْمِ السَّوَابِغِ، وَالرَّفْدِ الرَّوَابِغِ، وَأَنْدِرْكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ؛ فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا، وَوَضَّفَ لَكُمْ مُدَدًا^٥، فِي قَرَارِ خَبْرَةٍ^٦، وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا» [خ: ٨٢].

● «فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجَلَ فَعَمِلَ، وَحَازَرَ فَبَادَرَ، وَأَيَّفَنَ فَأَحْسَنَ، وَعَبَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحُدَّرَ فَازْدَجَرَ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَدَى، وَأَرَى فَرَأَى، فَاسْرَعَ طَالِبًا، وَنَجَا هَارِبًا، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ

١. الريش والرياش: اللباس الفاخر.

٢. أرفع: أوسع، وعيش رافع: واسع.

٣. وأحاط بكم الإحصاء: أي جعل الإحصاء - وهو الحصر - محيطاً بأعمالكم صغيرها وكبيرها.

٤. أرصد: أعد.

٥. وظف: أي قدر وعين، ومُدداً: جمع مِدة.

٦. قرار خبرة: أي دار بلاء واختبار.

سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعَادًا، وَاسْتَظْهَرَ زَادًا^١ لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَوَجْهَ سَبِيلِهِ، وَحَالَ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فِاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِيَصِدَّقَ مِيعَادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ» [خ: ٨٢].

● «فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ^٢، وَأَظْلَمَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ^٣، وَظَلَفَ^٤ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ، وَأَوْجَفَ^٥ الذُّكْرُ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِإِمَانِهِ^٦، وَتَنَكَّبَ^٧ الْمَخَالِجَ^٧ عَنْ وَضْحِ السَّبِيلِ، وَسَلَّكَ^٨ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ؛ وَلَمْ تَفْتَلُهُ^٩ فَاتِلَاتُ الْعُرُورِ، وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ^{١٠} مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ، ظَافِرًا بِفَرَحَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةَ التُّعْمَى، فِي أَنْعَمِ

١. استظهر زادًا: حمل زادًا على ظهر راحلته.

٢. الغرار: قلة النوم، أي أزال التهجد وقيام الليل نومه القليل، فأذهبه بالمرّة.

٣. الظمأ: العطش، والهواجر: نصف النهار عند اشتداد الحر.

٤. ظَلَفَ: مَنَعَ.

٥. أَوْجَفَ: أَسْرَعَ.

٦. قَدَّمَ الخوف لأمانه: أي قَدَّمَ خوفه ليأمن.

٧. تَنَكَّبَ: تَجَنَّبَ، وَالمَخَالِجُ: المَشَاغِلُ.

٨. الوَضْحُ: الجادة.

٩. فَتَلَهُ عَنْ كَذَا: أَي رَدَّهُ وَصَرَفَهُ.

١٠. عَمِيَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ: إِذَا التَّبَسَّ.

نَوْمِهِ، وَأَمَّنْ يَوْمِهِ. قَدْ عَبَّرَ مَعْبِرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيدًا، وَقَدَّمَ زَادَ الْأَجَلَةَ سَعِيدًا، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وَأَكْمَشَ^١ فِي مَهَلٍ، وَرَغَبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قُدَمًا^٢ أَمَامَهُ» [خ: ٨٢].

قال عليه السلام في رسول الله ﷺ:

● «فَهُوَ إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى» [خ: ٩٣].

قال عليه السلام في ذم الدنيا:

● «لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى» [خ: ١١٠].

● «أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ؛ زَادٌ مُبْلَغٌ وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ^٣؛ دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرٌ وَاعٍ، فَأَسْمَعُ دَاعِيَهَا، وَفَازَ وَاعِيَهَا. عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَالزَّامَتُ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ^٤؛ فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ، وَالرَّيَّ بِالظَّمِّ، وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظُّوا الْأَجَلَ» [خ: ١١٣].

١. أكْمَشَ: أَسْعَ.

٢. نَظَرَ قُدَمًا: أَي تَقَدَّمَ وَلَمْ يَبْشُرْ.

٣. مَعَادٌ مُنْجِحٌ: أَي يَصَادِفُ عِنْدَهُ النِّجَاحَ.

٤. الظَّمُّ: العَطَشُ أَوْ شِدَّتُهُ، وَالهَوَاجِرُ جَمْعُ الهَاجِرَةِ: نِصْفُ النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ، وَالْمُرَادُ صَوْمَهُمْ فِي الْأَيَّامِ الْحَارَةِ.

قال عليؑ لأبي ذر:

● «لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا» [خ: ١٣٠].

● «فَمَنْ أَشَعَرَ التَّقْوَى قَلْبُهُ بَرَزَ مَهْلُهُ^١، وَفَازَ عَمَلُهُ» [خ: ١٣٢].

● «أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضِيحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى» [خ: ١٤٤].

● «اتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ» [خ: ١٥١].

● «اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورُ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ^٢ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ^٣ الْخَطَايَا» [خ: ١٥٧].

● «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ عَدَا، وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا» [خ: ١٦١].

● «اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ» [خ: ١٦٧].

● «أَوْصِيكُمْ [عِبَادَ اللَّهِ] بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ» [خ: ١٧٣].

● «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ» [خ: ١٧٣].

١. برز الرجل على أقرانه: أي فاقهم، والمهل: التقدّم في الخير، أي فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره.

٢. يحرز: يحفظ.

٣. الحمة: إبرة العنقرب وسمّها، والمراد: سطوة الذنوب.

- «وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ^١، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِنْ أَسْرَزْتُمْ عِلْمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتَابَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفْظَةً كِرَامًا، لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا، وَلَا يُثَبِّتُونَ بَاطِلًا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلُمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنزِلْهُ مَنْزِلَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُورُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ» [خ: ١٨٣].
 - «فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتَهُ، وَمَعْقِلًا^٢ مَنِيعًا ذُرْوَتَهُ» [خ: ١٩٠].
 - «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقِّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِّ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِّ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ، مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَاجِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَّمِ الْمَاضِينَ وَالْعَايِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًّا، إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَأَلَ عَمَّا أَسَدَى^٣.
- فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ غَدًّا، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ

١. يقال: فلان بعين فلان إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء.

٢. المعقل: ما يعتصم به.

٣. الإسداء: الإعطاء.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (السبأ: ١٣). فَأَهْطَعُوا^١ بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَأَكْظُوا بِجِدِّكُمْ^٢ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا^٣ مِنْ كُلِّ سَلْفٍ خَلْفًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُّوَافِقًا.

أَيَقْظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، واقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا^٤ بِهَا ذُنُوبَكُمْ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحَمَامَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلَا وَضُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نَزَاهًا^٥، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَاهًا^٦. وَلَا تَضَعُوا مِنْ رَفَعْتِهِ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مِنْ رَفَعْتِهِ الدُّنْيَا» [خ: ١٩١].

● «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَيْبًا عَنِ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَتِهِ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

١. أهطعوا: أسرعوا.

٢. المواقظة: الملازمة، بجِدِّكم: باجتهادكم.

٣. اعتاضوها: خذوها عوضًا.

٤. ارحضوا: اغسلوا.

٥. النزّه: جمع نزيه، وهو المتباعد عمّا يوجب الذم.

٦. وُلَاهًا: جمع واله، وهو المشتاق.

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ،
وَمَشِيئُهُمُ التَّوَاضُّعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى
الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ.^٢

وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ
عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ. عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ
مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهَمُّ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهَمُّ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ
وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهَمُّ فِيهَا مُعَذِّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ،
وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ.

صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرِبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ.
أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا وَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلًا، يُحَزِّنُونَ بِهِ
أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَشِيرُونَ^٣ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا
طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبَ أَعْيُنِهِمْ.

١. ملبسهم الاقتصاد: أي ليس بالثمين جدًا ولا بالحقير جدًا.

٢. نزلت أنفسهم منهم في... أي إثم مواطنون أنفسهم على ما قدره الله في حقهم من الشدة والرخاء
والسراء والضراء والضيق والسعة.

٣. يستشيرون: يهيجون ويطلبون.

وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْعَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ
 وَشَهيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَائِنُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ^١، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ^٢
 وَأَكْفِهِمْ وَرُكْبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ. وَأَمَّا
 النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَّاهُمْ الْحَوْفُ بِرِيِّ الْقِدَاحِ^٣، يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
 النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضَى، وَيَقُولُ:

قَدْ حُولُطُوا! وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ! لَا يَرِضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلِ، وَلَا
 يَسْتَكْتَبِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ.

إِذَا زَكَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ وَمِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي،
 وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا
 يَظُنُّونَ، وَاعْفُرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عِلْمِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْمًا فِي لِينٍ، وَإِيمَانًا فِي
 يَقِينٍ، وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَقَصْدًا فِي غِنَى، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ،
 وَتَجَمُّلاً فِي فِائِقَةٍ، وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطًا فِي هُدَى،

١. حانون على أوساطهم: من حنيت العود عطفته، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة.

٢. مفترشون لجباههم: باسطون لها على الأرض.

٣. براهم: من البري وهو النحت، والقداح: السهام.

٤. قصداً: أي اقتصاداً.

٥. تجملاً في فائقة: أي التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر.

وَتَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ^١.

يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِّي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيْتُ حَذِيرًا، وَيُصْبِحُ فَرِحًا، حَذِيرًا لِمَا حُدِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ. فَرَّةٌ عَيْنُهُ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.

تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلُّهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُورًا أَكْلُهُ، سَهْلًا أَمْرُهُ، حَرِيْرًا دِينُهُ،^٣ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُومًا غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ.

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يَكْتُبْ مِنَ الْغَافِلِينَ. يَعْغُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ. بَعِيدًا فُحْشُهُ، لَيْتًا قَوْلُهُ، غَائِبًا مُنْكَرُهُ، حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلًا خَيْرُهُ، مُدْبِرًا شَرُّهُ. فِي الزَّلَّالِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرِّخَاءِ شَكُورٌ. لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ. يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ.

١. تحرجًا عن طمع: أي تباعدًا عن طمع.

٢. منزورًا: أي قليلاً.

٣. حريزًا: حصينًا ومحورًا.

٤. أي لا يضطرب في الشدائد المرعدة.

لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتَحْفَظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْتَمُ بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ. إِنَّ صَمَتَ لَمْ يَعْمَهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْ لُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُعِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ. نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. اتَّعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتْهُ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بُعِدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُونُهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُونُهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ» [خ: ١٩٣].

● «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الرِّمَامُ وَالْقَوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَوَلُّ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ^١، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاوِلِ الْحَرَزِ^٢، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْفَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ^٣، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهَجَّةٍ، وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَدِلُّ الشُّمُّ الشُّوَامِخَ^٤، وَالصُّمُّ الرُّوَاْسِخَ^٥، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا^٦ سَرَابًا رَفْرَقًا^٧، وَمَعْهَدُهَا

١. أكنان: جمع كن، وهو المكان الخالي من الآفات. الدعة: الراحة وسعة العيش.

٢. المعقل: الملجأ. والحرز: الحفظ.

٣. الصرور: جمع صرمة، القطعة من الإبل، والعشار: النوق لها عشرة أشهر من يوم اللقاح.

٤. الشُّمُّ الشُّوَامِخِ: الجبال الشواحق.

٥. الصُّمُّ الرُّوَاْسِخِ: الجبال الثابتة والمستحكمة.

٦. الصلدا: الصلب الأملس.

٧. الرقرق: المتلألأ.

قَاعًا سَمَلَقًا^١ ، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ ، وَلَا مَعْدِرَةٌ تَدْفَعُ» [خ: ١٩٥].

● «أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعُكُمْ^٢ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصْرٌ عَمَى أَفْنَدَتِكُمْ ، وَشِفَاءٌ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاخٌ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطُهُورٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجِلَاءٌ عَشَا أَبْصَارِكُمْ ، وَأَمْنٌ فَرَحِ جَاشِكُمْ^٣ ، وَضِيَاءٌ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ^٤ ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ^٥ ، وَلَطِيفًا بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ ، وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلًا لِحِينِ وَرْدِكُمْ ، وَشَفِيعًا لِدَرْكِ طَلِبَتِكُمْ ، وَجَنَّةً لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِيُطَوِّنَ قُبُورِكُمْ ، وَسَكَنًا لَطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفْسًا لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مِتَالِفٍ مُكْتَنِفَةٍ^٦ ، وَمَخَافَتُهُ مُتَوَقِّعَةٌ ، وَأُورٍ^٧ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ . فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوهَا ، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأُمُوجُ بَعْدَ تَرَاجُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا ،

١ . المعهد: الموضوع كنت تعهد به شيئاً. والقاع: المستوي من الأرض. والسملق: الفضاء الواسع.

٢ . مرامي مفرعكم: أي إليه تفرعون وتلجؤون.

٣ . الجأش: ما يضطرب به القلب عند الفزع.

٤ . الدثار: ما يكون من الإنسان فوق الشعار.

٥ . دخيلاً دون شعاركم: أي داخلاً في باطنكم تحت الشعار.

٦ . متالف: جمع متلف وهو المهلكة. ومكتنفة: محيطة.

٧ . الأوار: حرّ النار والشمس.

وَهَطَلَّتْ عَلَيْهِ الْكِرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا^١ ، وَتَحَدَّبَتْ^٢ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا ،
وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا^٣ ، وَوَبَلَّتْ^٤ عَلَيْهِ الْبِرَكَةُ بَعْدَ إِرْدَاذِهَا^٥ . فَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَّظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَآمَنَنَّ عَلَيْكُمْ بِبِعْمَتِهِ ، فَعَبَّدُوا
أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ» [خ: ١٩٨].

● «وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَّ الْمَنِيَّةِ^٦ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً... فَقَطَّعُوا عِلَاقَةَ الدُّنْيَا ، وَاسْتَظْهَرُوا
بِزَادِ التَّقْوَى» [خ: ٢٠٤].

● «فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ^٧ ، وَنَجَاةٌ مِنْ
كُلِّ هَلَكَةٍ ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ» [خ: ٢٢٩].

قال علي بن ابي طالب لمعقل بن قيس:

● «اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ» [ك: ١٢].

١. قحوطها: قَلَّتها.

٢. تحدبت: تعطفت.

٣. نضوبها: انقطاعها.

٤. وبلت: أمطرت شديداً.

٥. الرذاذ: المطر القليل.

٦. ملاحظ المنية: منبعث نظرها.

٧. من كل ملكة: أي كل ذنب موبق يملك الشيطان فاعله.

وكتب عليه السلام لبعض عماله:

- «أمره بتقوى الله في سرائر أموره وخفيات أعماله، حيث لا شهيد غيره، ولا وكيل دونه» [ك: ٢٦].

وكان يكتب لمن يستعمله على الصدقات:

- «انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له» [ك: ٢٥].

- «واعلموا عباد الله، أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وأجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم؛ سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذته الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، والمتجر الربح، أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله عداً في آخرتهم، لا ترد لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من لذة» [ك: ٢٧].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

- «واعلم يا بني، أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله...» [ك: ٣١].
- «إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنه يوم الخوف الأكبر، وثبتت على جوانب المزلق» [ك: ٤٥].

وفي كلامه مع شريح بن هانئ:

- «اتق الله في كل صباح ومساءً، وخف على نفسك الدنيا الغرور، ولا تأمنها على حال» [ك: ٥٦].

● «وَلَا يَقُولُ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقُولُ مَا يُتَقَبَّلُ!» [ق: ٨٩].

● «لَا كَرَمَ كَالْتَّقْوَى» [ق: ١٠٧].

قال عليه السلام لما مرّ بمقبرة عند منصرفه من صفين وناداهم وسألهم عن أشياء ثم قال:

● «أَمَا لَوْ أَدْنَى لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لِأَخْبِرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» [ق: ١٢٣].

● «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ» [ق: ١٩٣].

● «اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مِّنْ شَمَرٍ تَجْرِيدًا، وَجَدَّ تَشْمِيرًا، وَكَمَّشَ^١ فِي مَهَلٍ، وَبَادَرَ عَنَ وَجَلٍ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِلِ^٢، وَعَاقِبَةَ الْمُصْدَرِ^٣، وَمَعْبَةَ^٤ الْمَرْجِعِ» [ق: ٢٠٠].

● «اتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التَّقَى وَإِنْ قَلَّ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ» [ق: ٢٣٣].

● «مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أَثْمًا، وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظُلْمًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ حَاصَمَ» [ق: ٢٨٩].

● «التَّقَى رَيْسُ الْأَخْلَاقِ» [ق: ٣٩٩].

● «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثًا فَيَلْهُو، وَلَا تَرَكَ شَدَى فَيَلْعُو، وَمَا دُنْيَاهُ النَّبِيُّ تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلْفٍ^٤ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي فَجَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، وَمَا

١. كمش: بادر وأسرع.

٢. الموتل - هنا - ما ينتهي إليه الإنسان من سعادة وشقاء.

٣. المعبة: العاقبة.

٤. خلف: ما يخلف الشيء ويأتي بعده.

الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخِرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ» [ق: ٣٥٩].

● «لَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى» [ق: ٣٦٠].

● «أَلَا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ، وَأَفْضَلَ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةَ الْبَدَنِ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ» [ق: ٣٧٨].

٧. قاعدة «التواضع»

قال عليه السلام:

● «لَا يُبْغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَطَّمْ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ» [خ: ١٤٧].

● «وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّدَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَالْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبَرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ. وَاتَّخِذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلِحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِيْلَيْسَ وَجُودِهِ» [خ: ١٩٢].

● «فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَهُ إِلَيْهِمُ التَّكْبَارَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضِعَ، فَالْصَّفُؤُا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَقْفَرُوا فِي التُّرَابِ وَجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ» [خ: ١٩٢].

● «وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَلْوَانِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبَرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّدَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ» [خ: ١٩٢].

قال عليؑ في وصف المتقين:

- «وَمَشِيهُمُ التَّوَّاضِعُ» [خ: ١٩٣].
- «لَا حَسَبَ كَالتَّوَّاضِعِ» [ق: ١٠٧].
- «وَبِالتَّوَّاضِعِ تَبِمُ التَّعَمَّةُ» [ق: ٢١٤].
- «مَا أَحْسَنَ تَوَّاضِعَ الْأَعْيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ لِمَا عِنْدَ اللَّهِ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تَبِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَعْيَاءِ اتِّكَالًا عَلَى اللَّهِ» [ق: ٣٩٥].

٨. قاعدة «التوبة»

قال عليؑ:

- «فَاسْتَبْرُوا بِبُيُوتِكُمْ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِكُمْ» [خ: ١٦].
- «أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيئِهِ!» [خ: ٢٨].
- «فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ؛ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَعَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ؛ يُزَيِّنُ لَهُ الْمُعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا...» [خ: ٦٣].
- «فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخْشَعَ... وَرَاجَعَ فَتَابَ» [خ: ٨٢].
- «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيئَهُ!» [خ: ١٤٣].
- «طُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبٍ سَلِيمٍ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ... وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ» [خ: ٢١٤].

● «مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا... مَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ... وَتَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ... وَقَالَ فِي التَّوْبَةِ: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٧)» [ق: ١٢٨].

● «لَا تَكُنْ مِمَّنْ... يُرْجَى التَّوْبَةُ بِطُولِ الْأَمَلِ» [ق: ١٤٠].

● «تَرَكَ الذَّنْبَ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ» [ق: ١٦٠].

● «لَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ» [ق: ٣٦٠].

● «مَا كَانَ اللَّهُ... لِيُفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ» [ق: ٤٢٣].

٩. قاعدة «التَهَجُّد»

قال عليه السلام:

● «فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ... وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غَرَارَ نَوْمِهِ» [خ: ٨٢].

قال عليه السلام في وصف خلص أصحابه:

● «صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهْرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبْرَةٌ الْخَاشِعِينَ» [خ: ١٢٠].

١. يرجي التوبة: يؤخر التوبة.

٢. الغرار: قلة النوم، أي أزال التهجد وقيام الليل نومه القليل، فأذهبه بالمرّة.

قال عليه السلام في وصف المتقين:

● «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوَحُّشًا وَانْقِطَاعًا، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ ثَوَابًا» [خ: ١٩٠].

قال عليه السلام في وصف المتقين أيضًا:

● «أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلًا، يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَشِيرُونَ^١ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبَ أَعْيُنُهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْعَمُوا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أَسْوَاقِ آذَانِهِمْ، فَهَمَّ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ^٢، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ^٣ وَأَكْفِهِمْ وَرُكْبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ» [خ: ١٩٣].

● «طُوبَى لِنَفْسٍ... هَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا^٤، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكُرَى^٥ عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عْيُونَهُمْ خَوْفَ مَعَادِهِمْ،

١. يستشيرون: يهيجون ويطلبون.

٢. حانون على أوساطهم: من حنيت العود عطفته، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة.

٣. مفترشون لجباههم: باسطون لها على الأرض.

٤. غمضها: نومها.

٥. الكرى: النعاس.

وَتَجَافَتْ عَنِ مَصَاحِبِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمَّهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ^١
بِطَوْلِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
(المجادلة: ١٧) «ك: ٤٥».

● «وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا [السَّهْرُ وَ] العَنَاءُ، حَبْدًا نَوْمِ الأَكْيَاسِ
وَإِفْطَارُهُمْ!» [ق: ١٣٥].

١٠. قاعدة «الحلم»

قال عليه السلام:

- «أَوَّلُ عَوْضِ الحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الجَاهِلِ» [ق: ١٩٦].
- «إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ» [ق: ١٩٧].
- «الحلمُ فِدَامُ السَّفِيهِ» [ق: ٢٠١].
- «وَبِالحلمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأنصَارُ عَلَيْهِ» [ق: ٢١٤].
- «الحلمُ غطاءٌ ساترٌ... فاسترْ خَلَّ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ» [ق: ٤١٢].
- «الحلمُ والأناةُ توأمانٌ يُنتِجُهُمَا علُوُّ الهِمَّةِ» [ق: ٤٤٨].

١. تقشّعت: انحلت وذهبت.

٢. الفدَام: خرقعة تجعل على فم الإبريق، فيشبه الحلم بها.

في وصف المتقين:

- «وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ... فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ...
عِلْمًا فِي حِلْمٍ... يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ» [خ: ١٩٣].
- «الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ» [ق: ٨٩].

١١. قاعدة «الرجاء»

قال عليه السلام:

- «فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ... وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ» [خ: ٨٢].
- «يَدَّعِي بِرَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ!
فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، وَكُلُّ رَجَاءٍ -إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ- فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ^٢،
وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ -إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ^٣، يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو
الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللَّهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-
يُقْصِرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِعِبَادِهِ! اتَّخَافَ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا! أَوْ تَكُونَ لَا
تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا!...» [خ: ١٦٠].
- «أَوْصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ صَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطُ الْإِبِلِ^٤ لَكَانَتْ لِدَلِكِ أَهْلًا: لَا يَرْجُونَ

١. الظمأ: العطش، والهواجر: نصف النهار عند اشتداد الحر.

٢. المدخول: المغيب أو المغشوش.

٣. محقق: ثابت، والخوف المعلول: نقیض الثابت.

٤. ضربتم آباط الإبل: أي سافرت لتعلمها والاستيلاء بها.

أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبِّيَ...» [ق: ٧٧].

١٢. قاعدة «الزهد»

قال عليه السلام:

● «أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ^١، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُوا عَلَى كِطَّةٍ^٢ ظَالِمٍ، وَلَا سَعَبٍ مَظْلُومٍ، لِأَلْفَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا^٣، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا، وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ» [خ: ٣].

● «أَيُّهَا النَّاسُ؛ الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ، فَإِنْ عَزَبَ^٤ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ؛ فَقَدْ أَعْدَرَ^٥ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحَجَجٍ مُسْفِرَةٍ^٦ ظَاهِرَةٍ؛ وَكُتِبَ بَارِزَةَ الْغُدْرِ وَاصِحَةَ» [خ: ٨٠].

● «فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ... وَظَلَفَ^٧ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ» [خ: ٨٢].

١. النسمه: النفس والروح.

٢. الكِطَّةُ: ما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام.

٣. الغارب: ما بين السنام والعنق.

٤. عزب: بَعُدَ وَغَاب.

٥. أعذر: بالغ، يقال: أعذر فلان في الأمر أي بالغ فيه.

٦. المسفرة: المشرقة المضيئة.

٧. ظَلَفَ: مَنَعَ.

- «إِنَّ الرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْجِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا^١ بِمَا رَزَقُوا» [خ: ١١٢].

في وصف المتقي:

- «وَرَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَنْبَغِي» [خ: ١٩٣].

في وصف الزهاد:

- «كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبَ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ، يَرُونَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ أَعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ» [خ: ٢٢٩].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

- «أَخِي قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمْتَهُ بِالرَّهَادَةِ» [ك: ٣١].

وفي كتابه لعثمان بن حنيف:

- «فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بَنَ حَنِيفٍ، وَلْتَكْمُفْ أَقْرَابِكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ» [ك: ٤٥].

- «الرُّهُدُ ثَرْوَةٌ» [ق: ٢].

- «أَفْضَلُ الرُّهُدِ إِخْفَاءُ الرُّهُدِ» [ق: ٢٤].

١. اغتبطوا - بالبناء للمجهول - غبطهم غيرهم بها آتاهم الله من الرزق.

● «مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالمُصِيبَاتِ» [ق: ٢٧].

قال عليه السلام: لنوف البكالي:

● «يَا نَوْفُ، طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا، وَتُرَابَهَا فِرَاشًا، وَمَاءَهَا طِيبًا، وَالْقُرْآنَ شِعَارًا، وَالدُّعَاءَ دِنَارًا، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَيَّ مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ» [ق: ٩٩].

● «لَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ» [ق: ١٠٧].

● «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبْصِرَكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا» [ق: ٣٨٠].

● «الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد: ٢٣)، فَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي، فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرْفَيْهِ» [ق: ٤٢٧].

١٣. قاعدة «الدعاء»

قال عليه السلام:

● «وَمَنْ سَأَلَهُ أُعْطَاهُ» [خ: ٨٩].

في وصف خُلص أصحابه:

● «دُبِّلُ الشُّفَّاهِ مِنَ الدُّعَاءِ» [خ: ١٢٠].

● «وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينِ تَنْزِيلِ بِهِمُ النَّقْمِ، وَتَزُولُ عَنْهُمْ النَّعْمُ، فَرِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ» [خ: ١٧٨].

في وصف الذاكرين:

● «يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رُوحَ التَّجَاوُزِ» [خ: ٢٢١].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «وَاعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْبُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْحِثْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعَكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفُضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْتَشْتُهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكْوَتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعْنَتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ،

فَمَتَى سِئْتِ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمِهِ، وَاسْتَمَطَّرْتَ شَائِبَ رَحْمَتِهِ، فَلَا يُعْتَنِّتُكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النَّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْأَمَلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأَوْتَيْتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجَلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أَوْتَيْتَهُ، فَلَتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ» [ك: ٣١].

في وصف الزاهدين:

- «أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا... الدُّعَاءَ دِتَارًا» [ق: ٩٩].
- «مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمَ أَرْبَعًا: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ وَتَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الدُّعَاءِ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)» [ق: ١٢٨].
- «ادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ» [ق: ١٣٦].
- «الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ» [ق: ٣٢٨].
- «مَا كَانَ اللَّهُ... لِيُفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُعْلَقَ عَنْهُ بَابُ الْإِجَابَةِ» [ق: ٤٢٣].

١٤. قاعدة «الذكر»

- «فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، ... وَأَوْجَفَ^١ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ» [خ: ٨٢].
- «أَيُّضًا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ» [خ: ١٠٩].
- «قَدْ كَفَأَكُمْ مَوْوَنَهُ دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنَ السِّنْتِكُمْ الذِّكْرَ» [خ: ١٨٣].

في وصف المتقي:

- «يُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ» [خ: ١٩٣].
- «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ^٢، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ^٣، وَتَتَقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ - عَزَّتْ آلَاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ^٤، وَفِي أَرْزَامِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَفْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكَّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدْلَةِ فِي الْفَلَوَاتِ^٥، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ^٦ حَمْدًا وَإِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تَلَكَّ الظُّلُمَاتِ، وَأَدْلَةَ تَلَكَّ الشُّبُهَاتِ. وَإِنَّ

١. أوجف: أسرع.

٢. الوقرة: ثقل السمع.

٣. العشوة: ضعف البصر.

٤. البرهة: قطعة من الزمان.

٥. الفلوات: المغازات والقفار.

٦. أخذ القصد: ركب الاعتدال في سلوكه.

لِلذِّكْرِ لِأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعَ عَنْهُ، يَبْقَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْجِرِ عَنِ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتِيرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا أُطْلِعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا^١، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمْ^٢ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَعُوا لِمَحَاسِنِ أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا فَقَصَرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظَهَرُوا لَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا^٣ نَشِيجًا، وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا، يَعِجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجَى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقْعَدِ اطَّلَعِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِي سَعِيهِمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رُوحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَّحَ طُولَ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ^٤، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ

١. عداتها: جمع عدة وهي الوعد.

٢. مقاوم: جمع مقام، أي مقاماتهم.

٣. نشج الباكى نشيجًا: أي غصَّ بالبكاء في حلقه من غير انتخاب.

٤. الأسى: الحزن.

مِنْهُمْ يَدُّ قَارِعَةً، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيْقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ^١، وَلَا يَخِيْبُ عَلَيْهِ الرَّاعِبُونَ.
فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ» [خ: ٢٢١].

● «وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعًا، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا» [خ: ٢٢٢].

في وصف أولياء الله:

● «إِنَّ أَوْحَشَتَهُمُ الْعُرْبِيَّةُ أَنَسَهُمْ ذِكْرَكَ، وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَيَّ
الِاسْتِجَارَةَ بِكَ» [خ: ٢٢٦].

١٥. قاعدة «الشكر»

قال عليّؑ:

● «أَيُّهَا النَّاسُ؛ الرَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ، فَإِنَّ عَزَبَ^٢
ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ» [خ: ٨٠].

● «وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ» [خ: ٨٩].

● «وَأِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ^٣ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ
وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ...» [خ: ١٤٠].

● «قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةً دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ» [خ: ١٨٣].

١. المنادح: جمع مندحة، وهي في الأصل الفضاء المتسع بين الجبلين.

٢. عزب: بُعد وغاب.

٣. في السلامة: أي السلامة من الذنوب.

في وصف المتقي:

- «يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ... وَفِي الرَّخَاءِ شُكُورٌ» [خ: ١٩٣].
 - «وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ^١» [خ: ٢٣٩].
 - «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ اصْطَنَعَ^٢ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا» [ك: ٥١].
- وفي كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني:
- «وَأَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ» [ك: ٦٩].
 - «إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ^٣ فَلَا تُنْفِرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ» [ق: ٩].
 - «الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، [وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى]» [ق: ٦٣].
 - «مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعًا... وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ... وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّعَاءِ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾» [غافر: ٦٠] [ق: ١٢٨].
 - «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الشُّجَارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ» [ق: ٢٢٨].

١. مستأديكم شكره: أي طالب منكم شكره.

٢. اصطنعت عنده: طلبت منه أن يصنع لي شيئاً.

٣. أطراف النعم: أوائلها.

قال عليه السلام بعد ما ذكر سعة الأرزاق وضيقتها بالتقدير الإلهي:

● «فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ» [ق: ٢٦٤].

● «لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعْصَى شُكْرًا لِلنِّعَمِ» [ق: ٢٨١].

● «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُعْلَقَ عَنْهُ بَابُ الزِّيَادَةِ» [ق: ٤٢٣].

في وصف المؤمن:

● «شَكُورٌ صَبُورٌ» [ق: ٣٢٤].

١٦. قاعدة «الصبر»

قال عليه السلام:

● «اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ» [خ: ٢٦].

● «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى ... جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ» [خ: ٧٥].

● «فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ» [خ: ٨٥].

● «... إِنْ ابْتَلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» [خ: ٩٧].

● «وَاسْتَمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ

مِنْ كِتَابِهِ... أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْهَمَمَنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ! [خ: ١٧٣].

● «الْعَمَلَ الْعَمَلَ، ثُمَّ النَّهْيَةَ النَّهْيَةَ... ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ» [خ: ١٧٦].

● «وَأَسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانِبَةَ لِمَعْصِيَتِهِ» [خ: ١٨٨].

● «الزَّمُوا الْأَرْضَ^١، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ» [خ: ١٩٠].

قال عليه السلام يصف الشدائد التي مرّت على المؤمنين في الأمم السالفة:

● «حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرْجًا، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا، وَأَيْمَّةً أَعْلَامًا، وَبَلَغَتِ الْكِرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْأَمْالُ إِلَيْهِ بِهِمْ» [خ: ١٩٢].

في وصف المتقين:

● «صَبِرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرَبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ... فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ... صَبْرًا فِي شِدَّةٍ... فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٍ^٢، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٍ... إِنْ بُعِيَ عَلَيْهِ صَبْرٌ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ» [خ: ١٩٣].

١. الزموا الأرض: كناية عن السكون، ينصحهم به عند عدم توفر أسباب المغالبة.

٢. في الزلازل وقور: أي لا يضطرب في الشدائد المرعدة.

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «وَعُوذُ نَفْسِكَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ... اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ
الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ» [ك: ٣١].

● «الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ» [ق: ٢].

● «الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ» [ق: ٥٠].

● «أَوْصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الْإِبْلِ^١ لَكَانَتْ لِدَيْكَ أَهْلًا: ... وَ[عَلَيْكُمْ]
بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ
مَعَهُ، وَلَا فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ» [ق: ٧٧].

● «لَا إِيْمَانُ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ» [ق: ١٠٧].

● «يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ، وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ
أَجْرُهُ» [ق: ١٣٤].

● «لَا يَعْدَمُ الصَّبْرُ الظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ» [ق: ١٤٣].

● «مَنْ لَمْ يَنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجُرْعُ» [ق: ١٧٩].

● «الصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحَدَثَانَ»^٢ [ق: ٢٠١].

١. ضربتم آباط الإبل: أي سافرتم لتعلمها والاستيحاء بها.

٢. يناضل: يدافع، والحدثان: نوائب الدهر.

قال عليه السلام وهو يعزّي الأشعث بن قيس عن ابن له:

- «يَا أَشْعَثُ، إِنْ تَحَزَنَ عَلَيَّ ابْنُكَ فَقَدْ اسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ مِنْكَ الرَّحْمُ، وَإِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلْفٌ، يَا أَشْعَثُ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ» [ق: ٢٨٢].

في وصف المؤمن:

- «شَكُورٌ صَبُورٌ» [ق: ٣٢٤].
- «الدَّهْرُ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ؛ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ» [ق: ٣٨٥].

١٧. قاعدة «صلة الرحم»

قال عليه السلام:

- «أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِلَّا أَمْسَكُهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِلَّا أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِرُّ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ» [خ: ٢٣].

- «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ... صِلَةَ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ^١ فِي الْأَجْلِ» [خ: ١٠٩].

١. منسأة: من نسا في أجله أي أخره.

في وصف المتقي:

● «وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ» [خ: ١٩٣].

قال عليه السلام للعلاء بن زياد الحارثي لما اشترى دارًا واسعة:

● «مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، [أما] أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتُ أَحْوَجَ! وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ، تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطَلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ» [خ: ٢٠٩].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «وَأَكْرَمَ عَشِيرَتِكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ» [ك: ٣١].

● «فَرَضَ اللَّهُ... صِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنَمَةً لِلْعَدَدِ» [ق: ٢٤٣].

١٨. قاعدة «الورع»

قال عليه السلام:

● «أَيُّهَا النَّاسُ؛ الزَّهَادَةُ فِصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ» [خ: ٨٠].

● «الْعَمَلُ الْعَمَلُ، ثُمَّ النَّهْيَاةَ النَّهْيَاةَ... وَالْوَرَعُ الْوَرَعُ!» [خ: ١٧٦].

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشتر:

- «وَالصَّقُّ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدَقِ...» [ك: ٥٣].
- «الْوَرَعُ جُنَّةٌ» [ق: ٢].
- «لَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبُهَةِ» [ق: ١٠٧].
- «مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ» [ق: ٣٣٩].
- «لَا مَعْقِلَ أَحْصَنَ مِنَ الْوَرَعِ» [ق: ٣٦٠].

ج. القواعد المهلكة

لقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في طيّات خطبه ومراسلاته إلى موارد كثيرة يمكن ضمّها تحت عنوان القواعد المهلكة، لأنّ العمل بها يوجب الهلاك الأخرى، وإليك أهمّ تلك الموارد:

١. الإسراف

قال عليه السلام:

● «أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا» [خ: ١٢٦].

● «كُنْ سَمْحًا وَلَا تَكُنْ مُبْذِرًا» [ق: ٢٩].

وفي كتابه عليه السلام إلى زياد بن أبيه:

● «فَدَعْ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا» [ك: ٢١].

٢. الأكل الحرام

قال عليه السلام:

● «وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لَعَنَ الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بَعَيْنٍ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهْلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ» [خ: ١٥١].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ» [ك: ٣١].

وكتب عليه السلام إلى عثمان بن حنيف:

● «فَانظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ^٢ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ^٣، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظَةُ^٤، وَمَا أَيَقَنْتَ بِطَيِّبٍ وَجُوهِهِ فَنَلَّ مِنْهُ» [ك: ٤٥].

٣. طول الأمل

قال عليه السلام:

● «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ» [خ: ٢٨].

● «يُكْهَى النَّاسُ! إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ» [خ: ٤٢].

١ . اللعنة: ما تأخذه الملعنة

٢ . قَظِمَ: أكل بأطراف أسنانه.

٣ . المقضم: المأكَل.

٤ . الفظة: اطرحه من فمك.

● «فَأَزْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمْدُ» [خ: ٥٢].

● «فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ... فَإِنَّ أَجْلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ» [خ: ٦٣].

● «وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ» [خ: ٨٥].

● «قَدْ غَابَ عَن قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْأَجَالِ، وَحَصَرْتُمْ كَوَاذِبَ الْأَمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ» [خ: ١١٢].

في وصف المتقين:

● «اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَا حَظُّوا الْأَجَلَ» [خ: ١١٣].

في وصف الدنيا:

● «وَمَنْ عَبَّرَهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلٌ يَدْرُكُ، وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ» [خ: ١١٣].

● «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحَدَّرْتُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَصِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ،... وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ» [خ: ١١٠].

● «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَعْيِبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ

الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةَ^١ وَالنَّقْمَةَ^٢ [خ: ١٤٧].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

- «وَأَعْلَمُ يَقِينًا، أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعُدَّوْ أَجَلَكَ» [ك: ٣١].
- «مَنْ جَرَى فِي عِنَانٍ^٢ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ» [ق: ١٥].
- «مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ» [ق: ٣٢].
- «لَا تَكُنْ مِمَّنْ... يُرْجَى التَّوْبَةُ^٣ بِطُولِ الْأَمَلِ» [ق: ١٤٠].
- «مَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا التَّاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ... أَمَلٍ لَا يُدْرِكُهُ» [ق: ٢١٨].

٤. البخل

قال عليه السلام:

- «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدَّمَائِ وَالْمَعَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ...» [خ: ١٣١].

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشر:

- «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ...، فَإِنَّ

١. القارعة: المصيبة تفرع، أي تلقى بشدة وقوة.

٢. العنان: سير اللجام تمسك به الدابة.

٣. يرجي التوبة: يؤخر التوبة.

الْبُخْلُ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ» [ك: ٥٣].

● «الْبُخْلُ عَارٌ» [ق: ٢].

● «عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَيَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِي إِتَاهُ طَلَبَ،

فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ» [ق: ١١٩].

● «الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ» [ق: ٣٦٨].

٥. البدعة

قال عليه السلام:

● «إِنَّمَا بَدَأَ وَفُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ» [خ: ٥٠].

● «مَا أَحَدِنْتُ بَدْعَةً إِلَّا تَرَكْتُ بِهَا سُنَّةً، فَاتَّقُوا الْبِدْعَ، وَالزُّمُوا الْمَهْمِيعَ» [خ: ١٤٥].

● «فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ، وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ» [خ: ١٥١].

● «إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى

وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ- أَنْ يَخْرُجَ مِنْ

الدُّنْيَا، لِأَقْبَرِ رَبِّهِ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا... أَوْ يَسْتَنْجِحَ^١ حَاجَةً

إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بَدْعَةٍ فِي دِينِهِ» [خ: ١٥٣].

١. يستنجح: يطلب نجاح حاجته.

قال عليه السلام لعثمان:

● «فَاعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَّ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَكَثِيرَةً لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لَطَاهِرَةٌ، لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَاخُودَةٍ، وَأَحْيَا بِدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ» [خ: ١٦٤].

● «إِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُمْتَدِّعَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا» [خ: ١٦٩].

● «فَاسْتَفِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا...» [خ: ١٧٦].

● «إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعِ شَرْعَةٍ، وَمُبْتَدِعِ بِدْعَةٍ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ» [خ: ١٧٦].

٦. التكبر

قال عليه السلام:

● «عَرَّجُوا عَن طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تَبِجَانَ الْمُفَاخَرَةِ» [خ: ٥].

● «ضَعُ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ» [خ: ١٥٣].

● «وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ؛ تَمَيِّزًا بِالِاخْتِيَارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ.

● فَأَعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ سِنِي الآخِرَةِ، عَنْ كَبِيرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

● فَمَنْ بَعَدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ، كَلَّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ^٢ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ.

● فَاحْذَرُوا [عِبَادَ اللَّهِ] عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفْزِمَكُمْ^٣ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ^٤.

● فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمًا^٥ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ^٦، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: ٣٩)، قَدْفًا بَعِيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْمًا بَطْنٌ غَيْرُ مُصِيبٍ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ.

١. جهده: اجتهاده وجدّه.

٢. الهوادة: المصاححة والموادعة.

٣. يستفزكم: يستخفكم.

٤. أجنب عليكم بخيله: أي ركبانه، ورجله: أي مشاته، والمراد أعوان السوء.

٥. فوّقت السهم: جعلت له فوقًا، وهو موضع الوتر، وهذا كناية عن الاستعداد.

٦. أغرق لكم بالنزع الشديد: استوفى مدّ القوس وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد، ووقع سهامه أشدّ.

● حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ^١ مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ^٢ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ^٣ وَلَجَاتِ^٤ الدُّلِّ، وَأَحْلُوكُمْ^٥ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ^٦ إِثْحَانَ الْجِرَاحَةِ^٧، طَعْنَا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا فِي حُلُوفِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْفًا بِخَزَائِمِ^٨ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا، وَأَوْرَى^٩ فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ^{١٠}.

● فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جَدَّكُمْ^٩، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسْبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسْبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرِجْلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ^{١٠}، لَا تَمْتَتِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا

١. الطماعية: مصدر طمع.

٢. دلف: تقدم.

٣. أقحموكم: من الإفحام وهو الإدخال.

٤. ولجات: جمع ولجة، وهو موضع يستتر فيه.

٥. أوطأوكم: أوردوكم، وإثخان الجراحة: المبالغة في القتل.

٦. خزائم: جمع خزيمة وهو الزمام.

٧. أورى: أكثر إيرا، والإيراء إخراج النار من الزند.

٨. متألبين: مجتمعين.

٩. حدكم: بأسكم وشدنتكم. جدكم: أي قطعكم.

١٠. البنان: أطراف الأصابع.

- تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةٍ^١ ذَلِّ، وَحَلَقَةٍ ضَبِيقٍ، وَعَرَصَةٍ مَوْتٍ، وَجَوْلَةٍ بِلَاءٍ.
- فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَوِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَحْوَاتِهِ، وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ. وَاعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّدَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَالْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبِيرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ.
- وَاتَّخِذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا، وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظْمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عِدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَالزَّمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
- أَلَا وَقَدْ أَمَعْنْتُمْ^٢ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ، مُصَارِحَةً لِلَّهِ^٣ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ. فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَأَقِحَ الشَّنَّانِ^٤، وَمَنَافِخَ الشَّيْطَانِ، اللَّاتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ

١. الحومة: معظم الشيء.

٢. أمعنتم: أسرعتم.

٣. مصارحة لله: مواجهة له.

٤. ملاقح: جمع ملقح والمصدر اللقاح، والشنان: البغض.

الْخَالِيَةِ، حَتَّى أَعْنَقُوا^١ فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي^٢ ضَلَالَتِهِ، ذُلًّا عَنِ سِيَاقِهِ، سُلْسًا^٣ فِي قِيَادِهِ، أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكَبِيرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ» [خ: ١٩٢].

● «وَأَسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكَبِيرِ^٤، كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ^٥، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكَبِيرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِحَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَهُ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَالْصَّفَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَقَفُوا فِي التُّرَابِ وَجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ» [خ: ١٩٢].

● «وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِاللَّوَانِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجًا لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفْسِهِمْ... فَالَّلهُ اللهُ فِي... سُوءِ عَاقِبَةِ الْكَبِيرِ، فَإِنَّهَا مَصِيدَةٌ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ^٦ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي^٧

١. أعنقوا: أسرعوا.

٢. المهاوي: مساقط.

٣. ذلل: جمع ذلول وهو السهل، والسياق هنا: السوق. والسلس: السهل أيضًا.

٤. لواقح الكبر: جمع لاقح وهو ناتج.

٥. طوارق الدهر: حوادثه.

٦. تساور: تحالط.

٧. أكدى الحافر: إذا عجز عن التأثير في الأرض.

أَبْدًا، وَلَا تُشَوِي^١ أَحَدًا، لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقْلًا فِي طِمْرِهِ^٢» [خ: ١٩٢].

في وصف المتقي:

● «لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَتِهِ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيْعَةٍ» [خ: ١٩٣].

وفي عهده عليه السلام لملك الأشتر:

● «وَإِذَا أَحَدَتْ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَوْ مَخِيلَةٍ، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ^٣ إِلَيْكَ مِنْ طَمَاحِكَ^٤، وَيَكْفُفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ، وَيَقِيءُ^٥ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ» [ك: ٥٣].

● «عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً، وَيَكُونُ غَدًا جِيْفَةً» [ق: ١١٩].

● «الْحِرْصُ وَالْكَبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ» [ق: ٣٦٠].

● «ضَعُ فَحْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ» [ق: ٣٨٧].

● «مَا لِبْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ: أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ، وَلَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ» [ق: ٤٤١].

١. الإشواء: خطأ المقتل، يقال: رمى فأشوى أي لم يصب المقتل كأنه يصيب الشوى وهي الأطراف كاليد والرجل.

٢. الطمر: الثوب الخلق.

٣. يطامن الشيء: يخفض منه.

٤. الطماح: النشوز والجماح.

٧. الجزع

قال عليه السلام:

وهو يعزّي الأشعث بن قيس في ابنه:

- «يَا أَشْعَثُ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَأَنْتَ مَا جُورٌ، وَإِنْ جَرَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدْرُ وَأَنْتَ مَا زُورٌ» [ق: ٢٨٢].

في الدنيا:

- «وَلَا تَجْرَعُوا مِنْ ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعِ، وَزِينَتَهَا وَنَعِيمَتَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ» [خ: ٩٨].

في الإنسان:

- «وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّهْ الْجَزْعُ» [ق: ١٠٣].
- «مَنْ لَمْ يُنْجِهْ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزْعُ» [ق: ١٧٩].

قال عليه السلام لعبد الله بن العباس:

- «وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرْحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا» [ك: ٢٢].

٨. الحسد

قال عليه السلام:

- «وَلَا تَحَاسَدُوا، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ» [خ: ٨٥].
- «حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ» [ق: ٢٠٨].

- «الْعَجَبُ لِعَقْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ!» [ق: ٢١٥].
 - «صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قَلَّةِ الْحَسَدِ» [ق: ٢٤٧].
 - «الْحِرْصُ وَالْكَبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ» [ق: ٣٦٠].
- في صفة المنافقين:
- «حَسَدَةُ الرَّحَاءِ» [خ: ١٩٤].

٩. الرياء

قال عليه السلام:

- «وَأَعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلَهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ» [خ: ٢٣].
- «وَأَعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ» [خ: ٨٥].

١٠. الذنوب

قال عليه السلام:

- «أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا حَيْلٌ شُمْسُ حِمْلِ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجْمُهَا، فَتَفَحَّحَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ» [خ: ١٦].
- «إِنَّ أَبْعَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى رَجُلَانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ... حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ» [خ: ١٧].

- «أَحْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُورَثَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ» [خ: ٨٢].
 - «وَلَا تُدَاهِنُوا فِيهِجْمَ بِكُمْ الْإِذْهَانَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ... عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ» [خ: ٨٥].
 - في ذكر يوم القيامة: «وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَعَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَالْبَسَهُمْ سَرَائِلَ الْفَطِرَانِ^١، وَمَقْطَعَاتِ النَّيِّرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ^٢ وَلَجَبٌ^٣، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ^٤ هَائِلٌ، لَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادِي أُسِيرُهَا، وَلَا تَفْصِمُ كُبُولُهَا^٥. لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى» [خ: ١٠٨].
 - «اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارٌ حِصْنٌ عَزِيزٌ، وَالْفُجُورَ دَارٌ حِصْنٌ ذَلِيلٌ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ^٦ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ» [خ: ١٥٧].
 - «وَإِنَّمِ اللَّهُ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ^٧ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَرَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ
-
١. السربال: القميص، والفطران: شيء أسود لزج منتن يطلى به الإبل.
 ٢. المقطعات: الثياب التي تقطع، وقيل: هي قصار الثياب.
 ٣. الكلب: الشدة.
 ٤. اللجَب: الصوت.
 ٥. القصيف: الصوت الشديد.
 ٦. الكبول: القيود.
 ٧. يحرز: يحفظ.
 ٨. الغض: الناصر.

- اجْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ» [خ: ١٧٨].
- «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ» [ق: ٢٠].
 - «يَا بَنِ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرَهُ» [ق: ٢١].
 - «تَرَكَ الذَّنْبَ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ» [ق: ١٦٠].
 - «لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعْصَى شُكْرًا لِنِعْمِهِ» [ق: ٢٨١].
 - «مَا أَهْمَنِي ذَنْبٌ أُمِهُلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ» [ق: ٢٩٠].
 - «اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ» [ق: ٣١٥].
 - «مَا ظَفَرَ مَنْ ظَفَرَ الْإِثْمَ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ» [ق: ٣١٨].
 - «مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي» [ق: ٣٣٥].
 - «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ» [ق: ٣٣٨].
 - «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنِ نِقْمَتِهِ، وَحَيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ» [ق: ٣٥٨].
 - «احْذَرَنَّ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيَتْ فَاقُوْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِذَا ضَعُفَتْ فَاضْعُفْ عَنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ» [ق: ٣٧٣].

- «كُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ يَوْمَ عِيدٍ» [ق: ٤١٦].
- «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَحَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ» [ق: ٤٦٥].

١١. الشهوات

قال عليه السلام:

- «عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ... قَدْ خَلَعَ سَرَائِلَ الشَّهَوَاتِ» [خ: ٨٦].

في ذم المتخاذلين:

- «فَيَا عَجَبًا! وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرَقِ... يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ» [خ: ٨٧].

في صفة أهل الدنيا:

- «قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ» [خ: ١٠٨].
- «أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَدِّثُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوهُ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ...» [خ: ١١٠].

- «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيلَةِ^١، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَّ لَكُمْ مَحَابَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ، وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ

١. أعذر إليكم بالجليلة: أي بالأعذار الجليلة والبراهين الواضحة.

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: (إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ).
وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِهِ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا
يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنِ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ
النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مِنْزِعًا^١، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى^٢ [خ: ١٧٦].

في وصف المتقي:

- «مَيْتَةٌ شَهْوَةٌ» [خ: ١٩٣].
- «إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ^٢ أَسْلَفَ^٢ الْمَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ» [ق: ١٤٠].
- «مَنْ كَرَمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ» [ق: ٤٣٧].

١٢. الطمع

قال عليه السلام: في ذم المتخاذلين من جيشه:

- «أَقْوَلًا بَغِيرِ عِلْمٍ!... وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ!» [خ: ٢٩].

في وصف المتقين:

- «فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ... تَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ» [خ: ١٩٣].

١. أبعد منزعا: أي نزوعا بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي.

٢. أسلف: قدّم.

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «وإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ [ك: ٣١] الْهَلَكَةِ».

● «قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكًا، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا» [ك: ٣١].

● «أَزْرَى^١ بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشَعَرَ^٢ الطَّمَعُ» [ق: ٢].

في وصف عجائب قلب الإنسان وما فيه من الأضداد:

● «... فَإِنْ سَنَحَ لَهُ^٣ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ

الْحِرْصُ...» [ق: ١٠٣].

● «الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ» [ق: ١٧٠].

● «أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ» [ق: ٢٠٩].

● «الطَّمَاعُ فِي وَثَاقِ الذُّلِّ» [ق: ٢١٦].

● «إِنَّ الطَّمَعُ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ^٤، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ» [ق: ٢٦٦].

١. أزرى بها: حقرها.

٢. استشعر: جعله شعاره أي لازمه.

٣. سنج له: بدا وظهر.

٤. مورد غير مصدر: أي من ورده هلك فيه ولم يصدر عنه.

١٣. الظلم

قال عليه السلام:

- «أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُعْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمَ الَّذِي لَا يُعْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (النساء: ٤٨). وَأَمَّا الظُّلْمَ الَّذِي يُعْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ^١. وَأَمَّا الظُّلْمَ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا» [خ: ١٧٦].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

- «وَلَا تَظْلِمُ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ... وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ» [ك: ٣١].
- «وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مَنِ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَبَتِهِ وَنَفْعِكَ» [ك: ٣١].

وفي عهده عليه السلام لِمَالِكِ الْأَشْتَرِ:

- «أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ^٢ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ. وَوَيْسَ شَيْءٍ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ» [ك: ٥٣].

١. الهنات: الأمور المنكرة.

٢. أدحض: أبطل.

- «لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَدًا بِكَفِّهِ عَصَّةٌ» [ق: ١٧٦].
- «لِلظَّالِمِ مِنَ الرَّجَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ: يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلْبَةِ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ» [ق: ٣٤٠].

١٤. العجب

في وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

- «وَأَعْلَمُ، أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَأَقْفَةُ الْأَلْبَابِ» [ك: ٣١].
- وفي عهده عليه السلام لملك الأشر:
 - «وَأَيْتَاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ» [ك: ٥٣].
 - «أَوْحَشَ الْوَحْشَةَ الْعُجْبُ» [ق: ٣٤].
 - «سَيِّئَةٌ تَسُوؤُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ» [ق: ٤١].
 - «لَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ» [ق: ١٠٧].
 - «الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الْإِزْدِيَادِ» [ق: ١٥٧].
 - «عُجِبَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ أَحَدٌ حُسَادٍ عَقْلِهِ» [ق: ٢٠٢].

١٥. الغدر

قال عليه السلام:

● «مَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلَةِ. مَا لَهُمْ! قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ بَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ^١ وَجَهَ الْحِيَلَةَ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدْعُهَا رَأْيِي عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيحَةَ^٢ لَهُ فِي الدِّينِ» [خ: ٤١].

● «كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [خ: ٢٠٠].

وفي عهده عليه السلام لِمَالِكِ الْأَشْتَرِ:

● «وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطَّ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارِغَ ذِمَّتِكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً^٣ دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتِيَتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْلُوا^٤ مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيْسَنَّ بِعَهْدِكَ^٥، وَلَا تَخْتَلِنَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ.

١. الحَوْلُ الْقَلْبُ: الذي قد تحوّل وتقلّب في الأمور وجرب، وحنكته الخطوب والحوادث.

٢. الحريجة: التقوى.

٣. الجُنَّة: الوقاية، أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

٤. استولوا: وجدوه وبيلاً ثقيلًا.

٥. خاس بعهده: خانه ونقضه.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيمًا يَسْكُنُونَ إِلَيْهِ مَنَعَتِهِ^١، يَسْتَفِيضُونَ^٢ إِلَى جِوَارِهِ، فَلَا إِدْغَالَ^٣، وَلَا مُدَّالَسَةَ، وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعْقِدَ عَقْدًا تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ^٤، وَلَا تُعَوَّلَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ^٥ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوَثُّقَةِ، وَلَا يَدْعُونَكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَيْهِ طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقِ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضَلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ، لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ» [ك: ٥٣].

● «الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ» [ق: ٢٥٠].

١٦. الغضب

في وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

● «وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ، فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَدَّ مَعَبَةً» [ك: ٣١].

وفي كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني:

● «وَإِذَا كُتِبَ الْغَيْظَ وَاحْتُمَ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَتَجَاوَزَ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ» [ك: ٦٩].

● «وَإِذَا كُتِبَ الْغَيْظَ وَاحْتُمَ عِنْدَ الْغَضَبِ... وَاحْتَذِرِ الْغَضَبِ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ

١. المنعة: ما تمتنع به من القوة.

٢. يستفيضون: يفرعون إليه.

٣. الإدغال: الإفساد.

٤. العلل: جمع علة، وهي ما يصرف الأمر والعقد عن وجهه.

٥. لحن القول: ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض.

عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ» [ك: ٦٩].

ومن وصيته عليه السلام لابن عباس:

- «وإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ؛ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ^١ مِنَ الشَّيْطَانِ» [ك: ٧٦].
 - «الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ» [ق: ٢٤٦].
 - «مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ! أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ» [ق: ١٨٤].
- في عهده عليه السلام لملك الأشر:
- «قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ... أَفْضَلُهُمْ حَلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ» [ك: ٥٣].

١٧. الغفلة

قال عليه السلام:

- «فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ وَوَهَلْتُمْ^٢، وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَّا يُطْرَحُ الْحِجَابُ. وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهَدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ؛ وَبِحَقِّ أَقْوَلُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ الْعَبْرُ، وَزَجَرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ» [خ: ٢٠].

١. طيرة: خفة وطيش.

٢. الوهل: الفرع.

● «أَلَا وَإِنِّي لَمَ أَرُ كَالجَنَّةِ نَامَ طَالِيهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا» [خ: ٢٨].

في ذم المتخاذلين من جيشه:

● «أَقُولُ لَا بَغَيْرِ عِلْمٍ! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ» [خ: ٢٩].

● «وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ؛ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرَكِّبَهَا، وَيُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتَّى تَهْجَمَ مَنِيتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا. فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ» [خ: ٦٣].

● «وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوَّيَ عَنْكُمْ غَيْبَهُ، إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ، تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ^١ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلْتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا؛ وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمَنْتُمْ مَا حُدِّثْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيِكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ» [خ: ١١٥].

● «أَيُّهَا الْعَافِلُونَ غَيْرِ الْمَعْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُودُ مِنْهُمْ، مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمُ أَرَاخَ بِهَا سَائِمٌ^٢ إِلَى مَرْعَى وَبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ^٣، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمَدَى؛ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا! إِذَا

١. الالتدام: ضرب النساء صدورهن في النياحة.

٢. أراح بها: ذهب بها. والسائم: الراعي.

٣. المشرب الدوي: ذو المرض والداء.

- أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبَ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشَبَعَهَا أَمْرَهَا» [خ: ١٧٥].
- «فَتَدَاوَمْنَا دَاءَ الْفِتْرَةِ^١ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى^٢ الْغَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِيَقْظَةٍ» [خ: ٢٢٢].
- ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني:
- «وَاحْذَرِ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ» [ك: ٦٩].
 - «كَانَ الْمَوْتُ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَانَ الْحَقُّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَانَ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرًا عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاتِهِمْ، وَنَأْكُلُ تَرَاتِهِمْ، كَأَنَّا مُحَلَّدُونَ، قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ، وَرُؤِينَا بِكُلِّ جَانِحَةٍ^٣» [ق: ١١٦].
 - «وَنَحْنُ نَسْتَقْبِلُ اللَّهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ» [ق: ٣٦١].

١٨. الْغَيْبَةُ

قال عليه السلام في وصف عباد الله:

- «لَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ» [خ: ٢١٤].
- «الْغَيْبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ» [ق: ٤٤٩].

١. الفترة: الانكسار والضعف.

٢. الكرى: النعاس.

٣. الجانحة: الآفة تهلك الأصل والفرع.

١٩. الكذب

قال عليه السلام:

- «جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرْفٍ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ» [خ: ٨٥].
- «فَرَضَ اللَّهُ... تَرَكَ الْكَذِبَ تَشْرِيفًا لِلصُّدُقِ» [ق: ٢٤٣].

قال عليه السلام عند ذكره لعمر بن العاص:

- «أَمَّا وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ...» [خ: ٨٣].
- «عَلَامَةُ الإِيمَانِ أَنْ تُؤَثِّرَ الصُّدُقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ» [ق: ٤٤٦].
- «لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا» [ك: ٦٩].
- «إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ البُعِيدَ، وَبُعِيدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ» [ق: ٣٤].

٢٠. اللجاجة

قال عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

- «إِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيئَةَ اللُّجَاجِ» [ك: ٣١].

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشر:

- «وإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوْ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ امْتِكَانِهَا، أَوْ اللُّجَاجَةَ

فِيهَا إِذَا تَنَكَّرْتُ...» [ك: ٥٣].

● «اللَّحَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ» [ق: ١٦٩].

٢١. متابعة الشيطان

قال عليه السلام:

● «وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ... ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ...» [خ: ١].

● «عُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ... أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ، وَقَامَ لَوَاؤُهُ» [خ: ٢].

● «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً^٢، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَكَرَبَ بِهِمُ الزَّلَّلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ^٣، فَعَمِلَ مَنْ قَدْ شَرِكُهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!» [خ: ٧].

● «وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا^٤، فَأَصْلٌ وَأَرْدَى،

١ . اجتالتهم: أدارتهم، أو عدلت بهم، أو اعترتهم.

٢ . ملاك الأمر: ما به قوامه.

٣ . الخطل: القول الفاسد.

٤ . النجي: الذي يساره.

وَوَعَدَ فَمَنْتَى^١، وَزَيْنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوْنَ مُوبِقَاتِ الْعَطَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ^٢، وَاسْتَعْلَقَ رَهينَتَهُ^٣، أَنْكَرَ مَا زَيْنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوْنَ، وَحَدَّرَ مَا أَمَّنَ» [خ: ٨٢].

● «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي^٤ لَكُمْ طُرْفَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ؛ فَأَصْدِفُوا عَنْ نَزْعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَأَقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ، وَأَعْقِلُوهَا^٥ عَلَى أَنْفُسِكُمْ» [خ: ١٢٠].

في صفه أهل الضلال:

● «دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمْ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا!» [خ: ١٤٤].

● «فَاخْذَرُوا [عِبَادَ اللَّهِ] عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ^٧ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ^٨. فَلَعْمَرِي لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمٌ^٩ الْوَعِيدِ، وَأَعْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ^{١٠}، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

١. منى: أي صور الأمان كذباً.

٢. استدرج قرينته: أي أدنى على التدرج صاحبه الذي كان قرينه.

٣. استغلق رهينته: أي صارت الرهينة غلقة عنده لا يقدر صاحبها على فكها، وذلك في الاحتضار وما بعده.

٤. يسني: يسهل.

٥. صدف عن الأمر: انصرف عنه، ونزغات الشيطان: اغراءاته.

٦. اعقلوها: احبسوها والزموها.

٧. يستفزكم: يستخفكم.

٨. أجلب عليكم بخيله: أي ركبانه، ورجله: أي مشاته، والمراد أعوان السوء.

٩. فوّت السهم: جعلت له فوقاً، وهو موضع الوتر، وهذا كناية عن الاستعداد.

١٠. أعرق لكم بالنزع الشديد: استوفى مدّ القوس وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد، ووقع سهامه أشدّ.

أَجْمَعِينَ ﴿الحجر: ٣٩﴾، قَدْفًا بَغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْمًا بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ. حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ^١ مِنْهُ فِيكُمْ، فَجَمَعَتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْجَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ^٢ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ^٣ وَلَجَاتٍ^٤ الدُّلَّ، وَأَحْلُوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ^٥ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ^٦، طَعَنًا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا فِي حُلُوفِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ^٧ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا، وَأُورَى^٨ فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ^٩. فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جَدَّكُمْ^{١٠}، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَفْتَنُصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ^{١١}،

١. الطماعية: مصدر طمع.

٢. دلف: تقدّم.

٣. أقحموكم: من الإفحام وهو الإدخال.

٤. ولجات: جمع ولجة، وهو موضع يستتر فيه.

٥. أوطأوكم: أوردوكم، وإثخان الجراحة: المبالغة في القتل.

٦. خزائم: جمع خزيمة وهو الزمام.

٧. أورى: أكثر إيرا، والإبراء إخراج النار من الزند.

٨. متألبين: مجتمعين.

٩. حدّكم: بأسكم وشدّتكم. جدّكم: أي قطعكم.

١٠. البنان: أطراف الأصابع.

لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةٍ^١ ذُلًّا، وَحَلَقَةٍ ضَبِيقٍ، وَعَرَصَةٍ مَوْتٍ، وَجَوْلَةٍ بَلَاءٍ» [خ: ١٩٢].

وفي كتابه **عائلاً** معاوية:

● «فَأَحْذَرُ يَوْمًا يُغْتَبَطُ^٢ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ» [ك: ٤٨].

قال **عائلاً** لما مرَّ بقتلى الخوارج:

● «بُؤْسًا لَكُمْ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مِنْ غَرَّكُمْ»

ف قيل له: من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال:

● «الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ فِي الْمَعَاصِي، وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ، فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ» [ق: ٣١٤].

٢٢. النفاق

قال **عائلاً**: في ذم أهل البصرة الذين التحقوا بأصحاب الجمل:

● «أَخْلَاقُكُمْ دِفَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ» [خ: ١٣].

● «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ

١. الحومة: معظم الشيء.

٢. يغتبط فيه: يفرح ويسر.

الْمُضِلُّونَ، وَالرَّالُونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوُّونَ الْوَانَ، وَيَفْتَنُونَ^١ افْتِنَانًا، وَيَعْمِدُونَكُمْ^٢
بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصِدُونَكُمْ^٣ بِكُلِّ مَرْصَادٍ.

فَلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصَفَاحُهُمْ نَفِيَّةٌ^٤، يَمْشُونَ الْخَفَاءَ^٥، وَيَدْبُونَ الضَّرَاءَ. وَصَفُهُمْ
دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعِيَاءُ^٦، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكَّدُوا الْبَلَاءِ،
وَمُفْنِطُوا الرَّجَاءِ.

لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَفَارِضُونَ
الثَّنَاءَ^٧، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ، إِنْ سَأَلُوا الْحَفْوَا^٨، وَإِنْ عَذَلُوا^٩ كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا
أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ
بَابٍ مُفْتَاخًا، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مُصْبَحًا، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِتَيْمُمُوا بِهِ

١. يفتنون: يأخذون في فنون من القول ولا يذهبون مذهبا واحداً.

٢. يعمدونكم: يقصدونكم أو يفتحونكم.

٣. يرصدونكم: يقعدون لكم بكل طريق ويعدون المكائد لهم.

٤. دوية: فاسدة ومريضة.

٥. صفاحهم: بشرة جلدهم، ونقية: نظيفة.

٦. يمشون الخفاء: أي في الخفاء.

٧. الداء العياء: الذي أعيى الأطباء ولا يمكن الشفاء منه.

٨. يتفارضون الثناء: كل واحد منهم يثني على الآخر ليثني الآخر عليه، كأن كلاً منهم يسلف الآخر ديناً
ليؤديه إليه.

٩. الحفوا: ألتوا. عذلوا: لاموا.

١٠. عذلوا: لاموا.

أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ^١. يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيَمَوْهُونَ، قَدْ هَيَّأُوا
الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ^٢، فَهُمْ لُئِمَةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ التَّيْرَانِ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ
الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة: ١٩) [خ: ١٩٤].

● «ولقد قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: (إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي
مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ،
وَلِكُنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ
مَا تُنْكِرُونَ)» [ك: ٢٧].

٢٣. إتياع الهوى

قال عليه السلام:

- «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ» [خ: ٢٨].
- «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ؛
فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ» [خ: ٤٢].
- «إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ،
وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا، عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ» [خ: ٥٠].

١. أَعْلَاقَهُمْ: أَمْتَعَتَهُمْ.

٢. أَضْلَعُوا الْمَضِيقَ: أَمَالُوهُ وَجَعَلُوهُ ضَلْعًا، أَي مَعْرُجًا.

٣. اللَّيْمَةُ: الْجِيعَاةُ.

٤. الْحِمَةُ: السَّم.

- «الشَّقِيّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ... وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مُنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ...» [خ: ٨٥].

في صفات المتقين:

- «قَدْ خَلَعَ سَرَائِيلَ الشَّهَوَاتِ... فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى... قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ» [خ: ٨٦].
- «عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ» [خ: ١٠٤].

في وصف أصحاب الفتنة:

- «يَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ» [خ: ١٥٦].
- «فَرِحِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْرَعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى» [خ: ١٧٦].
- «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ... تَتَابَعُ بِنَا أَهْوَاؤَنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ!» [خ: ٢١٥].

وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام:

- «وَأَيَّاكَ وَالْاِتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى؛ فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى... الْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى» [ك: ٣١].

وفي عهده عليه السلام لملك الأشر:

- «فَأَمْلِكْ هَوَاكَ» [ك: ٥٣].

١. أبعد منزعا: أي نزوعا بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي.

٢. التتابع هنا: التهافت في اللجاج والشر.

ومن كلام له عليه السلام مع هانئ بن شريح:

● «وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرُدَّ عَنْ نَفْسِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ، سَمَتٌ^١
بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ. فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا، وَلِنَزْوَتِكَ^٢ عِنْدَ
الْحَفِيظَةِ^٣ وَاقِمًا قَامِعًا^٤» [ك: ٥٦].

● «كَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَىِّ أَمِيرٍ!» [ق: ٢٠١].

● «كَانَ لِي فِيهَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ... كَانَ إِذَا بَدَّهُهُ^٥ أَمْرَانِ نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبَ إِلَى
الْهَوَىِّ فَخَالَفَهُ. فَعَلَيْكُمْ بِهِذِهِ الْخَلَائِقِ فَالزَّمُوها وَتَنَافَسُوا فِيهَا» [ق: ٢٨٠].

● «قَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ» [ق: ٤١٢].

١ . سمت: ارتفعت.

٢ . النزوة: من نزا ينزو، أي وثب.

٣ . الحفيظة: الغضب.

٤ . وقمه: قهره، وقمعه: رده وكسره.

٥ . بدهه الأمر: فاجأه وبغته.

المصادر

١. القرآن الكريم
٢. نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق: السيّد هاشم الميلاني، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ٢٠١٣م.
٣. الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد؛ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦هـ - ٤١٣هـ)؛ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام؛ المجلسي، محمّد باقر؛ ط٢، بيروت - لبنان، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٥. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم؛ ابن شعبة الحراني، أبو محمّد الحسن بن علي بن الحسين؛ التصحيح والتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي (التابعة لجامعة المدرسين، ١٤٠٤هـ).
٦. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم؛ الأمدي، عبدالواحد بن محمّد؛ المحقق: المصطفى الدرايتي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط: الأولى.
٧. الطبقات الكبرى؛ ابن سعد، محمّد؛ ج١، بيروت، دار صادر. للمطبوعات، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
٨. عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية؛ ابن أبي جمهور، محمّد بن علي بن إبراهيم الأحسائي؛ تحقيق: مجتبی العراقي، ط١، قم، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٩. الكامل؛ المبرد، محمّد بن يزيد؛ برنامج مكتبة أهل البيت عليهم السلام.
١٠. مصباح الشريعة؛ الإمام جعفر الصادق عليه السلام؛ ط١، بيروت - لبنان، مؤسسة الأعلمي
١١. مصباح المتهدج؛ الطوسي، أبي جعفر محمّد بن الحسن بن علي بن الحسن؛ بيروت - لبنان، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
١٢. الميزان في تفسير القرآن؛ الطباطبائي، السيّد محمّد حسين؛ قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

هذا الكتاب

يهدف هذا الكتيب إلى تقديم نمطٍ للحياة يعتمد على نهج البلاغة، وما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه وكتبه وقصار حكمه في تحديد سلوك الإنسان؛ إذ يمثل كتاب نهج البلاغة منظومةً متكاملةً من مختلف المعارف التي يحتاج إليها الإنسان في حياته. وقد قُسم هذا العمل إلى قسمين: القسم الأول، يتطرق إلى المباني الأساسية والنظرية التي لا بد أن يعتمد عليها نمط الحياة ليكون متوافقاً مع نظام الخلقة والقسم الثاني: القواعد العامة التي تُحدّد نمط الحياة وطريقة سلوك الإنسان في حياته الفرديّة والاجتماعيّة، وما يتفرّع منها من قواعد فرعيّة تكون بمنزلة خارطة طريق يسلكه الإنسان المسلم.



المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

<http://www.iicss.iq>